الفصل الأول

هدي النبي ﷺ في التفكر في الجنة والنار

فإن النبي ﷺ قد حرص أشدّ الحرص من خلال هديه قولاً وفعلاً على ترسيخ أهمية دوام ذكر الجنة والنار، والمتأمّل لسنته ﷺ بعيني قلبه يجد ذلك واضحاً جلياً، فيراه حريصاً على ذكر الجنة والنار كل ليلة قبل نومه، قالت عائشة: «كان رسول الله ﷺ لا ينام حتى يقرأ سورة الزمر» (السلسلة الصحيحة: ٦٤١)، وفيها قوله عز وجل: ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا﴾ (الزمر: ٧١)، وقوله: ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا﴾ (الزمر: ٧٣)، وقال جابر: «كان ﷺ لا ينام حتى يقرأ: (آلم تنزيل) السجدة و(تبارك الذي بيده الملك)» (السلسلة الصحيحة: ٥٨٥)، وفيها ذكرٌ كثير للجنة والنار، ويراه كذلك حريصاً على التفكر في شأن الجنة والنار عند استيقاظه من نومه، فقد بات عنده ابن عباس ليلةً فلمّا استيقظ قرأ آخر آيات سورة آل عمران: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ ﴿١٩٠﴾ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴿١٩١﴾ رَبَّنَا إِنَّكَ مَنْ تُدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ ﴿١٩٢﴾ رَبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ ﴿١٩٣﴾ رَبَّنَا وَآتِنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ ﴿١٩٤﴾ فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ فَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَأُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأُوذُوا فِي سَبِيلِي وَقَاتَلُوا وَقُتِلُوا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي

مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ ثَوَابٗا مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِۚ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسۡنُ ٱلثَّوَابِ ﴿١٩٥﴾ لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ ٱلَّذِينَ
كَفَرُواْ فِي ٱلۡبِلَٰدِ ﴿١٩٦﴾ مَتَٰعٞ قَلِيلٞ ثُمَّ مَأۡوَىٰهُمۡ جَهَنَّمُۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمِهَادُ ﴿١٩٧﴾ لَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ
رَبَّهُمۡ لَهُمۡ جَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا نُزُلٗا مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِۗ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ
خَيۡرٞ لِّلۡأَبۡرَارِ ﴿١٩٨﴾ وَإِنَّ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ لَمَن يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُمۡ وَمَآ أُنزِلَ
إِلَيۡهِمۡ خَٰشِعِينَ لِلَّهِ لَا يَشۡتَرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ثَمَنٗا قَلِيلًاۗ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ أَجۡرُهُمۡ عِندَ
رَبِّهِمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ ﴿١٩٩﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصۡبِرُواْ وَصَابِرُواْ
وَرَابِطُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴾ (آل عمران: ١٩٠ - ٢٠٠) - كما في الصحيح -

بل ورد عنه أنه كان يقرأ هذه الآيات كل ليلة ولكن سنده ضعيف - كما قال ابن كثير، ويراه كذلك حريصاً على ذكر ذلك في كل صلاةٍ يصليها سواءٌ كانت فرضاً أو نفلاً، بل قد أمر كل مصلٍّ بذلك، فعن أبي هريرة مرفوعاً: «إذا فرغ أحدكم من التشهد الآخر، فليستعذ بالله من أربع؛ يقول: اللهم إني أعوذ بك من عذاب جهنم، ومن عذاب القبر، ومن فتنة المحيا والممات ومن شر فتنة المسيح الدجال» (رواه مسلم والنسائي)، بل جعل أدعية لصلاة كلها تدور حول ذلك، فقد قال لرجلٍ ما تقول في الصلاة؟ فقال: أتشهد ثمّ أسأل الله الجنة وأعوذ به من النار، أما والله ما أحسن دندنتك ولا دندنة معاذ. فقال ﷺ: «حولها ندندن» (رواه أبو داود وابن ماجة وصححه الألباني)، ويجده حريصاً في المجامع والمحافل على تذكير الناس بالجنة والنار، فقد كان يقرأ في الجمعة بالأعلى والغاشية (رواه مسلم)، وأحياناً بالجمعة والمنافقون (رواه مسلم)، وكان يصلي في العيدين بالأعلى والغاشية (رواه مسلم)، وأحياناً بـ ق والقمر (رواه مسلم)، ويجده حريصاً في كل أسبوع في صلاة فجر يوم الجمعة على تذكير الناس بالجنة والنار، فقد كان يقرأ «بآلم السجدة والإنسان في فجر كل جمعة» (رواه البخاري ومسلم).

بل يجد حرص النبي ﷺ لنفسه وللمؤمنين معه على دوام تذكر الجنة والنار في كل الصلوات سواء السرية أو الجهرية، فقد كان يقرأ ـ في معظم أحيانه ـ في صلواته بالمفصل الذي هو أكثر أحزاب القرءان اشتمالاً على آيات الجنة والنار، ففي الفجر كان يقرأ فيها بطوال المفصل (رواه النسائي وأحمد وصححه الألباني)، وربما قرأ فيها بالواقعة (رواه أحمد وابن خزيمة وصححه الألباني)، وربما بالطور (رواه البخاري ومسلم)، وربما بـ ق (رواه مسلم)، وربما بقصار المفصل كـ «إذا الشمس كورت» (رواه مسلم)، وقرأ مرةً بـ «إذا زلزلت الأرض» (رواه أبو داود وصححه الألباني)، وفي الظهر (وكذا في العصر قاله الألباني) ربما قرأ بـ «إذا السماء انشقت» (رواه ابن خزيمة وصححه الألباني)، وربما قرأ بـ الطارق، و«السماء ذات البروج»، و«الليل إذا يغشى» (رواه أبو داود والترمذي وصححه الألباني)، وفي المغرب يقرأ أحياناً بقصار المفصل (رواه البخاري ومسلم)، وأحياناً بطوال المفصل وأوساطه كسورة «محمد» (رواه ابن خزيمة والطبراني وصححه الألباني)، وأحياناً بالطور وأحياناً بالمرسلات (رواه البخاري ومسلم)، وفي العشاء يقرأ من وسط المفصل (رواه أحمد والنسائي)، وكان يقرأ فيها بالشمس وضحاها (رواه أحمد والترمذي وحسنه)، وتارة بـ «إذا السماء انشقت» (رواه البخاري ومسلم)، وكان يقرأ في هذه الصلوات بغيرها أيضاً ولكن أكثر قراءته كانت لحزب المفصل، وهذه السور التي ذكرناها مليئة بذكر الجنة والنار، فعلى الدعاة والأئمة والوعاظ أن يكثروا من قراءة هذه السور ومن التركيز على حزب المفصل كما كان يفعل ﷺ. بل كان ﷺ يكثر من قراءة السور المليئة بذكر الجنة والنار على الدوام حتى شاب، ففي الحديث: «شيبتني هود والواقعة والمرسلات وعم يتساءلون وإذا الشمس كورت» (السلسلة الصحيحة: ٩٥٥). ويجد حرصه كذلك على أن يكون ذكر الجنة والنار ديدن كل مسلم على الدوام:

ـ فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من سأل الله الجنة ثلاث مرات قالت الجنة: اللهم أدخله الجنة، ومن استجار من النار ثلاث مرات قالت النار: اللهم أجره من النار» (رواه الترمذي والنسائي) (انظر صحيح الجامع، ح ٦٢٨٠).

وعن أنس رضي الله عنه أيضاً قال: كان أكثر دعاء النبي ﷺ: «ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار» (رواه البخاري).

وقد فهم الصحابة رضي الله عنهم منه ﷺ ذلك فراحوا ينشرون في الناس هذا الهدي؛ يقول د. خالد أبو شادي معلقاً على حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً قال ﷺ: «إذا فرغ أحدكم من التشهد الأخير، فليتعوذ بالله من أربع: من عذاب جهنم، ومن عذاب القبر، ومن فتنة المحيا والممات ومن شر فتنة المسيح الدجال». فهذه خمس مرات يومياً على الأقل يذكر فيها المسلم جهنم ويتعوذ منها جعلها الله فريضة يذكرها المرء إجبارياً، فلا مجال للنسيان أو الانشغال وعندما تنتهي صلاتك فلا تفعل جوارحك ما يوردك ما تعوذ منه لسانك منذ لحظات، وإلا كنت ...!! كنت ماذا؟! بل حرص النبي ﷺ على أن يُعَلِمْ أصحابه هذا الدعاء ويُحَفظهم إياه كأنه سورة من القرءان!! فعن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ «كان يعلمهم هذا الدعاء كما يعلمهم السورة من القرءان، قولوا: اللهم إني أعوذ بك من عذاب جهنم وأعوذ بك من عذاب القبر، وأعوذ بك من فتنة المسيح الدجال وأعوذ بك من فتنة المحيا والممات». وورث أبو هريرة رضي الله عنه المهمة واستمر في أداء الرسالة قائماً بها على أكمل وجه وذلك بطريقة مبتكرة وصيحة متكررة، فكان له صيحتان كل يوم: أول النهار وآخره، يقول: ذهب الليل وجاء النهار، وعرض آل فرعون على النار، فلا يسمعه أحد إلا استعاذ بالله من النار. يا من يطمع في العتق من النار ثم يمنع نفسه الرحمة بالإصرار على كبائر الآثام والأوزار. استعذ بالله من النار» أ. هـ.

وفي حديث أبي هريرة رضي الله عنه: «كان رسول الله ﷺ إذا كان في سفر فأسحر يقول: سمع سامع بحمد الله وحسن بلائه علينا، ربنا صاحبنا وأفضل علينا، عائذاً بالله من النار».

قلتُ: وكيف لا يكون هذا هو هديهم، وقد جعل الله ما في الدنيا مذكراً بالجنة والنار!! قال تعالى: ﴿ أَفَرَءَيْتُمُ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى تُورُونَ ﴿٧١﴾ ءَأَنتُمْ أَنشَأْتُمْ شَجَرَتَهَآ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنشِـُٔونَ ﴿٧٢﴾ نَحْنُ جَعَلْنَٰهَا تَذْكِرَةً وَمَتَٰعًا لِّلْمُقْوِينَ ﴾ (الواقعة: ٧١ - ٧٣).

وقال ﷺ: «اشتكت النار إلى ربها وقالت: أكل بعضي بعضاً، فجعل لها نفسين: نفساً في الشتاء ونفساً في الصيف، فأما نفسها في الشتاء فزمهرير، وأما نفسها في الصيف فسموم» (السلسلة الصحيحة: ١٤٥٧)، وفي رواية: «فأشد ما تجدون في الشتاء من البرد فمن زمهريرها، وأشد ما تجدون في الصيف من الحرّ فمن سمومها»، وكان أبو الدرداء يقول: «نِعْم البيت الحمام يُذهب الوسخ ويذكِّر النار» (رواه البيهقي في السنن الكبرى).

وكان كثيرٌ من السلف إذا مرّ بالحدادين استعاذ بالله من النار، وإذا مرّ بسوق الرياحين (أماكن تباع فيها العطور الطيبة الرائحة ـ والله أعلم ـ) سأل اللهَ الجنّة.

الفصل الثاني

لا ينال العبدُ الجنةَ ولا ينجو من النار بغير عمل

قال ﷺ: «ما رأيتُ مثل النار نام هاربها ولا مثل الجنة نام طالبها» (السلسلة الصحيحة: ٩٥٣)، وقال أيضاً: «كما لا يُجتنى من الشوك العنب كذلك لا ينزل الأبرار منازل الفجار، فاسلكوا أي طريقٍ شئتم، فأي طريق سلكتم وردتم على أهله» (السلسلة الصحيحة: ٢٠٤٦). وعند مسلم: «كل الناس يغدو، فبائعٌ نفسه فمعتقها أو موبقها».

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أنّ النبي ﷺ قال: «لما خلق الله الجنّة والنار أرسل جبريل إلى الجنة، فقال: انظر إليها وإلى ما أعددت لأهلها فيها. قال: فجاء فنظر إليها وإلى ما أعد الله لأهلها فيها، قال: فرجع إليه قال: وعزتك لا يسمع بها أحد إلا دخلها، فأمر بها فحفت بالمكاره، فقال: ارجع إليها فانظر إلى ما أعددتُ لأهلها فيها، قال: فرجع إليها، فإذا هي قد حُفّت بالمكاره فرجع إليه فقال: وعزتك لقد خفتُ أن لا يدخلها أحد، وقال: اذهب إلى النار فانظر إليها وإلى ما أعددت لأهلها فيها، قال: فنظر إليها فإذا هي يركب بعضها بعضاً فرجع إليه فقال: وعزتك لا يسمع بها أحد فيدخلها، فأُمر بها فحفت بالشهوات، فقال: ارجع إليها، فرجع إليها فقال: وعزتك لقد خشيتُ أن لا ينجو منها أحد إلا دخلها» (رواه أبو داود والنسائي).

وقال ﷺ: «حُلوةُ الدنيا مُرّة الآخرة، ومُرّة الدنيا حُلوة الآخرة» (السلسلة الصحيحة: ١٨١٧).

قلتُ: فمن منع نفسه من غيها في الدنيا لم يتحسر يوم القيامة ومن ركب الشهوات ندم حين لا ينفع الندم، روى البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يدخل أحدٌ الجنّةَ إلّا أُريَ مقعده من النار لو أساء ليزداد

شكراً، ولا يدخلُ النار أحدٌ إلّا أُرِيَ مقعده من الجنة لو أحسن، ليكون عليه حسرةً»، ولا يدخر ذلك له في الآخرة فقط بل من ساعة موته؛ فقد روى مسلم عن ابن عمر مرفوعاً: «إذا مات الرجل عُرِضَ عليه مقعدُه بالغداة والعشي إن كان من أهل الجنة فالجنة، وإن كان من أهل النار فالنار، قال: ثمّ يُقال: هذا مقعدك الذي تبعث إليه يوم القيامة».

قال د. خالد أبو شادي: وهو يتحدث عن بيعة العقبة التي بايع فيها سبعون من الأنصار رسول الله ﷺ؛ قام أسعد بن زرارة رضي الله عنه وهو أصغر السبعين فقال: رويداً يا أهل يثرب!! إنا لم نضرب إليه أكباد المطي إلا ونحن نعلم أنه رسول الله، وإن إخراجه اليوم مفارقة العرب كافة، وقتل خياركم، وأن تعضكم السيوف، فإما أنتم قوم تصبرون على عضِّ السيوف إذا مستكم وعلى قتل خياركم وعلى مفارقة العرب كافة، فخذوه وأجركم على الله، وإما أنتم تخافون من أنفسكم خيفة فذروه فهو أعذر لكم عند الله، فقالوا جميعاً: أمط يدك يا أسعد، فوالله لا نذر هذه البيعة ولا نستقيلها، فقاموا إليه يبايعونه رجلاً رجلاً يأخذ عليهم شرطه ويعطيهم على ذلك الجنة.

وقال أيضاً: واعجباً!! قوم أيقنوا بالجنة ولما يمضي على إسلامهم سوى برهة قصيرة من الزمن، فمنهم من أسلم منذ يوم واحد، ومنهم من أسلم من يومين، ومنهم من أسلم من شهر أو شهرين، وأقدمهم إسلاماً من أسلم منذ سنتين!! وبرغم ذلك ومع أن الجنة غيب لم يروه فهم يبذلون في سبيلها أغلى ما يملكون: النفس والمال ويتعرضون لأخطر ما يكون، ونحن نسمع عن الجنة مذ وعينا طوال عمرنا وما دفعنا نفس الثمن، فهل أيقنت نفوسنا هذا اليقين؟! وهل نحن على استعداد لنفس البذل؟!.

يقول ابن القيم رحمه الله: «النعيم لا يدرك بالنعيم وإنّ ما آثر الراحة فاتته الراحة، وبحسب ركوب الأهوال واحتمال المشاق تكون الفرحة واللذة، فلا فرصة لمن لا هم

له، ولا لذة لمن لا صبر له، ولا نعيم لمن لا شقاء له، ولا راحة لمن لا تعب له، بل إذا تعب العبد قليلاً استراح طويلاً، وإذا تحمل مشقة الصبر ساعة قاده لحياة الأبد، وكل ما فيه أهل النعيم المقيم فهو صبر ساعة» (مفتاح دار السعادة: ٢/ ١٥).

وهذا ما يحدِّد لك طريق التعامل الصحيح مع نفسك التي بين جنبيك، لذا كان من الوصايا الذهبية «احذر نفسك، فما أصابك بلاء قط إلا منها، ولا تهاونها، فوالله ما أكرمها من لم يهنها، ولا أعزها من لم يذلها، ولا جبرها من لم يكسرها، ولا أراحها من لم يتعبها، ولا أمَّنها من لم يخوفها، ولا فرَّحها من لم يحزنها» (الفوائد ص: ٦٨). أ. هـ

الفصل الثالث

الجنة والنار في الكتاب والسنة

وهو مقصود الكتاب، وفيه أصدر بالآيات على حسب ترتيبها في المصحف، وأذكر أقوال المفسرين، وأذكر في غضون ذلك جملةً من الأحاديث والآثار والنقول.

ـ قال تعالى: ﴿ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا وَلَن تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴾ (البقرة: ٢٤).

قال الزمخشري، فإن قلت: ما معنى قوله تعالى: ﴿ وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ ﴾؟ قلت: معناه أنها نار ممتازة عن غيرها من النيران، بأنها لا تتقد إلا بالناس والحجارة، وبأن غيرها إن أريد إحراق الناس بها أو إحماء الحجارة أوقدت أولاً بوقود ثم طرح فيها ما يراد إحراقه أو إحماؤه، وتلك ـ أعاذنا الله منها برحمته الواسعة ـ توقد بنفس ما يُحرَق ويحمى بالنار وبأنها لإفراط حرها وشدة ذكائها إذا اتصلت بها لا تشتعل به نار، اشتعلت وارتفع لهبها. فإن قلت: أنار الجحيم كلها موقدة بالناس والحجارة، أم هي نيران شتى منها نار بهذه الصفة؟ قلت: بل ﴿ قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا ﴾ (التحريم: ٦)، ﴿ فَأَنذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّىٰ ﴾ (الليل: ١٤)، ولعل لكفار الجن وشياطينهم ناراً وقودها الشياطين، كما أن لكفرة الإنس ناراً وقودها هم، جزاء لكل جنس بما يشاكله من العذاب. فإن قلت: لم قرن الناس بالحجارة وجعلت الحجارة معهم وقوداً؟. قلتُ: لأنهم قرنوا بها أنفسهم في الدنيا، حيث نحتوها أصناماً وجعلوها لله أنداداً أو عبدوها من دونه قال الله تعالى: ﴿ إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ ﴾ (الأنبياء: ٩٨)، وهذه الآية مفسرة لما نحن فيه فقوله: ﴿ حَصَبُ جَهَنَّمَ ﴾ في

معنى وقودها؛ ولما اعتقد الكفار في حجارتهم المعبودة من دون الله أنها الشفعاء والشهداء الذين يستشفعون بهم ويستدفعون المضار عن أنفسهم بمكانهم، جعلها الله عذابهم فقرنهم بها محماة في نار جهنم.

وقال الرازي معلقاً على قوله: ﴿فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾ (البقرة: ٢٤).

السؤال الثامن: فلم جاءت النار الموصوفة بهذه الجملة منكرة في سورة التحريم وهاهنا معرفة؟ **الجواب**: تلك الآية نزلت بمكة فعرفوا منها ناراً موصوفة بهذه الصفة ثمّ نزلت هذه بالمدينة مستندة إلى ما عرفوه أولاً.

السؤال التاسع: ما معنى قوله تعالى: ﴿وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ﴾ ؟ الجواب: أنها نار ممتازة من النيران بأنها لا تتقد إلا بالناس والحجارة وذلك يدل على قوتها من وجهين ـ **الأول**: أن سائر النيران إذا أريد إحراق الناس بها وإحماء الحجارة أوقدت أولاً بوقود ثمّ طرح فيها ما يراد إحراقه أو إحماؤه، وتلك ـ أعاذنا الله منها برحمته الواسعة ـ توقد بنفس ما تحرق. **الثاني**: أنها لإفراط حرها تتقد في الحجر.

ـ قال تعالى: ﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ۖ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا ۙ قَالُوا هَٰذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا ۖ وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ ۖ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ (البقرة: ٢٥).

قال الزمخشري، أنزه البساتين وأكرمها منظراً ما كانت أشجاره مظللة والأنهار في خلالها مطردة. ولولا أن الماء الجاري من النعمة العظمى واللذة الكبرى، وأن الجنان

والرياض وإن كانت آنق شيء وأحسنه لا تروق النواظر ولا تبهج الأنفس ولا تجلب الأريحية والنشاط حتى يجري فيها الماء، وإلا كان الأنس الأعظم فائتاً، والسرور الأوفر مفقوداً وكانت كتماثيل لا أرواح فيها، وصور لا حياة لها، لَمّا جاء الله تعالى بذكر الجنات مشفوعاً بذكر الأنهار الجارية من تحتها مسوقين على قرن واحد كالشيئين لابد لأحدهما من صاحبه ولما قدمه على سائر نعوتها. والنهر المجرى الواسع فوق الجدول ودون البحر.

فإن قلت: لم نكرت الجنات وعرفت الأنهار؟ قلت: أما تنكير الجنات فقد ذكر. وأما تعريف الأنهار فلأنّه يراد الجنس، كما تقول: لفلان بستان فيه الماء الجاري والتين والعنب وألوان الفواكه، تشير إلى الأجناس التي في علم المخاطب. أو يراد أنهارها، فعوض التعريف باللام من تعريف الإضافة كقوله: ﴿ وَٱشۡتَعَلَ ٱلرَّأۡسُ شَيۡبٗا ﴾ (مريم: ٤)، أو يشار باللام إلى الأنهار المذكورة في قوله: ﴿ فِيهَآ أَنۡهَٰرٞ مِّن مَّآءٍ غَيۡرِ ءَاسِنٖ وَأَنۡهَٰرٞ مِّن لَّبَنٖ لَّمۡ يَتَغَيَّرۡ طَعۡمُهُۥ ﴾ (محمد: ١٥)، فإن قلتَ: لأي غرضٍ يتشابه ثمر الدنيا وثمر الجنّة، وما بال ثمر الجنّة لم يكن أجناساً أخر؟ قلتُ: لأنّ الإنسان بالمألوف آنس وإلى المعهود أميل، وإذا رأى ما لم يألفه نفر عنه طبعه وعافته نفسه، ولأنه إذا ظفر بشيء من جنس ما سلف له به عهد وتقدم له معه إلف، ورأى فيه مزيةً ظاهرةً وفضيلةً بينةً وتفاوتاً بينه وبين ما عهد بليغاً، أفرط ابتهاجه واغتباطه، وطال استعجابه واستغرابه، وتبين عنده النعمة فيه، وتحقق مقدار الغبطة به، ولو كان جنساً لم يعهده، وإن كان فائقاً، حسب أنّ ذلك الجنس لا يكون إلّا كذلك، فلا يتبين موقع النعمة حق التبين، فحين أبصروا الرمانة من رمان الدنيا ومبلغها في الحجم وأنّ الكبرى لا تفضل عن حدّ البطيخة الصغيرة ثمّ يبصرون رمّانة الجنّة تشبع السكن، والنبقة من نبق الدنيا في حجم الفلكة ثمّ يرون نبق الجنّة كقلال هجر، كما رأوا ظل

الشجرة من شجر الدنيا وقدر امتداده ثمّ يرون الشجرة في الجنّة يسير الراكب في ظلها مائة عام لا يقطعها، كان ذلك أبين للفضل، وأظهر للمزية، وأجلب للسرور، وأزيد في التعجب من أن يفاجئوا ذلك الرمان وذلك النبق من غير عهدٍ سابقٍ بجنسهما. وترديدهم هذا القول ونطقهم به عند كل ثمرة يرزقونها دليل على تناهي الأمر وتمادي الحال في ظهور المزية وتمام الفضيلة، وعلى أنّ ذلك التفاوت العظيم هو الذي يستملي تعجبهم ويستدعي تبجحهم في كل أوان.

ويجوز أن يرجع الضمير في ﴿وَأُتُوا بِهِ﴾ إلى الرزق، كما أنّ قوله ﴿هَٰذَا﴾ إشارة إليه ويكون المعنى: أن ما يرزقونه من ثمرات الجنّة يأتيهم متجانساً في نفسه، كما يحكى عن الحسن: يؤتي أحدهم بالصحفة فيأكل منها، ثم يؤتى بالأخرى فيقول: هذا الذي أتينا به من قبل، فيقول الملك: كُلْ، فاللون واحد والطعم مختلف، وعنه ﷺ: «**والذي نفس محمد بيده، إن الرجل من أهل الجنة ليتناول الثمرة ليأكلها فما هي بواصلة إلى فيه حتى يبدل الله مكانها مثلها**»، فإذا أبصروها والهيئة هيئة الأولى قالوا ذلك. والتفسير الأول هو هو. فإن قلت: كيف موقع قوله: ﴿وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا﴾ من نظم الكلام؟ قلتُ: هو كقولك: فلان أحسن بفلان ونعم ما فعل، ورأى من الرأي كذا وكان صواباً. ومنه قوله تعالى: ﴿وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً وَكَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ﴾ (النمل: ٣٤)، وما أشبه ذلك من الجمل التي تساق في الكلام معترضة للتقرير. والمراد بتطهير الأزواج: أن طهرن مما يختص بالنساء من الحيض والاستحاضة وما لا يختص بهن من الأقذار والأدناس. ويجوز لمجيئه مطلقاً: أن يدخل تحته الطهر من دنس الطباع وطبع الأخلاق الذي عليه نساء الدنيا، مما يكتسبن بأنفسهن، ومما يأخذنه من أعراق السوء والمناصب الرديئة والمناشي المفسدة، ومن سائر عيوبهن ومثالبهن وخبثهن وكيدهن، فإن قلتَ: فهلا جاءت الصفة مجموعة كما في الموصوف؟ قلت:

هما لغتان فصيحتان يقال: النساء فعلن، وهن فاعلات وفواعل، والنساء فعلت وهي فاعلة. ومطهرة بمعنى متطهرة. وفي كلام بعض العرب: ما أحوجني إلى بيت الله فأطهر به أطهرة أي فأتطهر به تطهرة. فإن قلتَ: هلا قيل طاهرة؟ قلت في «مطهرة» فخامة لصفتهن، ليست في طاهرة، وهي الإشعار بأنّ مُطهِّراً طهرهن وليس ذلك إلا الله عز وجل المريد بعبادة الصالحين أن يخولهم كل مزية فيما أعد لهم.

والخلد: الثبات الدائم والبقاء اللازم الذي لا ينقطع قال الله تعالى: ﴿ وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ ٱلْخُلْدَ أَفَإِيْن مِّتَّ فَهُمُ ٱلْخَٰلِدُونَ ﴾ (الأنبياء: ٣٤).

وقال الرازي: الجنّة: البستان من النخل والشجر المتكاثف المظلل بالتفاف أغصانه. والتركيب دائر على معنى الستر وكأنها لتكاثفها وتظليلها سميت بالجنة التي هي المرة من مصدر جنّه إذا ستره كأنها سترة واحدة لفرط التفافها، وسُميت دار الثواب جنّة لما فيها من الجنات.

ـ فإن قيل: لم نُكرت الجناتُ وعُرفت الأنهار؟

الجواب: أما الأول فلأن الجنة اسم لدار الثواب كلها وهي مشتملة على جنات كثيرة مرتبة مراتب على حسب استحقاقات العاملين لكل طبقة منهم جنات من تلك الجنات، وأما تعريف الأنهار فالمراد به الجنس كما يقال لفلان بستان فيه الماء يجري والتين والعنب يشير إلى الأجناس التي في علم المخاطب، أو يشار باللام إلى الأنهار المذكورة في قوله تعالى: ﴿ فِيهَآ أَنْهَٰرٌ مِّن مَّآءٍ غَيْرِ ءَاسِنٍ وَأَنْهَٰرٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُۥ ﴾ (محمد: ١٥).

السؤال الثالث: الآية تدل على أنهم شبهوا رزقهم الذي يأتيهم في الجنة برزق آخر جاءهم قبل ذلك فالمشبه به أهو من أرزاق الدنيا، أم من أرزاق الجنّة؟ الجواب: فيه

وجهان ـ الأول: أنه من أرزاق الدنيا ويدل عليه وجهان ـ أولها: أن الإنسان بالمألوف آنس وإلى المعهود أميل، فإذا رأى ما لم يألفه نفر عنه طبعه كما أنه إذا ظفر بشيء من جنس ما سلف له به عهد ثم وجده أشرف مما ألفه أولاً عظم ابتهاجه وفرحه به، فأهل الجنّة إذا أبصروا الرمانة في الدنيا ثم أبصروها في الآخرة ووجدوا رمّانة الجنّة أطيب وأشرف من رمانة الدنيا كان فرحهم بها أشد من فرحهم بشيء مما شاهدوه في الدنيا، ثانيهما: أن قوله تعالى: ﴿ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا ..... ﴾ يتناول جميع المرات فيتناول المرة الأولى فلهم في المرة الأولى من أرزاق الجنّة شيء لابد وأن يقولوا كما حكى القرءان الكريم ﴿ هَٰذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِن قَبْلُ ﴾ ولا يكون قبل المرة الأولى شيء من أرزاق الجنة حتى يشبه ذلك به فوجب حمله على أرزاق الدنيا، الثاني: أن المشبه به رزق الجنّة أيضاً والمراد تشابه أرزاقهم. ثم اختلفوا فيما حصلت المشابهة فيه على وجهين ـ الأول: المراد تساوي ثوابهم في كل الأوقات في القدر والدرجة حتى لا يزيد ولا ينقص، الثاني: المراد تشابهها في المنظر فيكون الثاني كأنه الأول على ما روي عن الحسن. ثم هؤلاء مختلفون، فمنهم من يقول الاشتباه كما يقع في المنظر يقع في المطعم فإن الرجل إذا التذ بشيء وأعجب به لا تتعلق به نفسه إلا بمثله، فإذا جاء ما يشبه الأول من كل الوجوه كان ذلك نهاية اللذة، ومنهم من يقول إنه وإن وصل الاشتباه في اللون لكنها تكون مختلفة في الطعم، قال الحسن: يؤتى أحدهم بالصحفة فيأكل منها ثم يؤتى بالأخرى فيقول هذا الذي أُتينا به من قبل، فيقول الملك: كُل فاللون واحد والطعم مختلف.

وقال القرطبي: قوله: ﴿ وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا ﴾ (البقرة: ٢٥)، ﴿ بِهِ مُتَشَابِهًا ﴾ حال من الضمير في ﴿ بِهِ ﴾ ؛ أي يشبه بعضه بعضاً في المنظر ويختلف في الطعم. قاله ابن عباس ومجاهد والحسن وغيرهم. وقال عكرمة: يشبه ثمر الدنيا ويباينه في جُل

الصفات. قال ابن عباس: هذا على وجه التعجب وليس في الدنيا شيء مما في الجنة سوى الأسماء؛ وكأنهم تعجبوا لما رأوه من حسن الثمرة وعظم خلقها. وقال قتادة: «خياراً لا رذل فيه؛ كقوله تعالى: ﴿كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا﴾ وليس كثمار الدنيا التي لا تتشابه؛ لأنه فيها خياراً وغير خيار» أ. هـ.

قلتُ: صحّ عن ابن عباس رضي الله عنهما موقوفاً: «**ليس في الجنّة شيءٌ يُشبه (ما) في الدُّنيا إلا الأسماءَ**» (السلسلة الصحيحة: ٢١٨٨).

- قال تعالى: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقًا ﴿٦٩﴾ ذَٰلِكَ ٱلْفَضْلُ مِنَ ٱللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ عَلِيمًا﴾ (النساء: ٦٩-٧٠).

قال سيد قطب: إنها اللمسة التي تستجيش مشاعر كل قلب فيه ذرة من خير وفيه بذرة من صلاح وفيه أثارة من التطلع إلى مقام كريم في صحبة كريمة في جوار الله الكريم، وهذه الصحبة لهذا الرهط العلوي إنما هي من فضل الله. فما يبلغ الإنسان بعمله وحده وطاعته وحدها أن ينالها. إنها هو الفضل الواسع الغامر الفائض العميم. ويحسن هنا أن نعيش لحظات مع صحابة رسول الله ﷺ وهم يتشوقون إلى صحبته ﷺ في الآخرة وفيهم من يبلغ به الوجد ألا يمسك نفسه عند تصور فراقه ... وهو ﷺ بين ظهرانيهم فتنزل هذه الآية فتندي هذا الوجد وتبل هذه اللهفة والوجد النبيل واللهفة الشفيقة، روى ابن جرير بسنده عن سعيد بن جبير قال: جاء رجل من الأنصار إلى رسول الله ﷺ وهو محزون فقال له النبي ﷺ: «**يا فلان. ما لي أراك محزوناً**» فقال: يا نبي الله شيء فكرت فيه فقال: «**ما هو**» قال: نحن نغدو عليك ونروح ننظر إلى وجهك، ونجالسك وغداً ترفع مع النبيين فلا نصل

إليك. فلم يرد عليه النبي ﷺ شيئاً. فأتاه جبريل بهذه الآية: ﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ﴾ الآية. فبعث النبي ﷺ فبشره. وقد رواه أبو بكر بن مردوية مرفوعاً بإسناده عن عائشة رضي الله عنها قالت: «جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله إنك أحب إليَّ من نفسي، وأحب إليَّ من أهلي وأحب إليَّ من ولدي وإني لأكون في البيت فأذكرك فما أصبر حتى آتيك فأنظر إليك وإذا ذكرت موتي وموتك عرفت أنك إذا دخلت الجنّة رفعت مع النبيين وإن دخلتُ الجنّة خشيت ألا أراك. فلم يرد عليه النبي ﷺ حتى نزلت ﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقًا ﴾».

وفي صحيح مسلم عن الأوزاعي عن يحيى بن كثير عن أبي سلمة بن عبد الرحمن عن ربيعة بن كعب الأسلمي أنه قال: كنت أبيت عند رسول الله ﷺ فأتيته بوضوئه وحاجته. فقال لي: «سل» فقلت: يا رسول الله أسألك مرافقتك في الجنة فقال: «أو غير ذلك» قلت: هو ذاك. قال: «فأعني على نفسك بكثرة السجود».

وفي صحيح البخاري من طرق متواترة عن جماعة من الصحابة أن رسول الله ﷺ سئل عن الرجل يحب القوم ولـمّا يلحق بهم فقال: «المرء مع من أحب» قال أنس: فما فرح المسلمون فرحهم بهذا الحديث. لقد كان الأمر يشغل قلوبهم وأرواحهم. أمر الصحبة في الآخرة وقد ذاقوا طعم الصحبة في الدنيا! وإنه لأمر يشغل كل قلب ذاق محبة هذا الرسول الكريم وفي الحديث الأخير أمل وطمأنينة ونور.

ـ قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُوا۟ عَلَى ٱلنَّارِ فَقَالُوا۟ يَـٰلَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِـَٔايَـٰتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ (الأنعام: ٢٧).

قال القرطبي: ﴿عَلَى ٱلنَّارِ﴾ أي هم فوقها على الصراط وهي تحتهم. وقيل: ﴿عَلَى﴾ بمعنى الباء؛ أي وقفوا بقربها وهم يعاينونها. وقال الضحاك: جُمعوا، يعني على أبوابها. ويقال وقفوا على متن جهنم والنار تحتهم. وفي الخبر: أنّ الناس كلهم يوقفون على متن جهنم كأنها متن إهالة، ثمّ ينادي منادٍ خُذي أصحابك ودعي أصحابي. وقيل: «وقفوا» دخلوها ـ أعاذنا الله منها ـ فعلي بمعنى (في) أي وقفوا في النار. وجواب «لو» محذوف ليذهب الوهم إلى كل شيء فيكون أبلغ في التخويف؛ والمعنى: لو تراهم في تلك الحال لرأيت أسوأ حال، أو لرأيت منظراً هائلاً، أو لرأيت أمراً عجباً وما كان مثل هذا التقدير.

ـ قَالَ تَعَالَى: ﴿ لَهُمْ دَارُ ٱلسَّلَـٰمِ عِندَ رَبِّهِمْ ﴾ (الأنعام: ١٢٧).

قال ابن عاشور: يجوز أن يراد بدار السلام الجنة سميت دار السلام لأن السلامة الحق فيها، لأنها دار قرار وأمن من كل مكروه للنفس، فتمحضت للنعيم، فالمراد إذاً من السلام: الأمان الكامل الذي لا يعتري صاحبه شيء مما يُخاف من الموجودات جواهرها وأعراضها، وقيل: السلام اسم من أسماء الله تعالى، أي دار الله تعظيماً لها كما يقال للكعبة: بيت الله، ويجوز أن يراد مكانة الأمان عند الله، أي حالة الأمان من غضبه وعذابه.

قلتُ: الاحتمال الأخير لازم من القول الأول والثاني ولكن ليس هو مراد الآية.

فصل: في أسماء الجنة

قال ابن القيم:

الاسم الأول: «الجنة» وهو الاسم العام المتناول لتلك الدار وما اشتملت عليه من أنواع النعيم واللذة والبهجة والسرور وقرة الأعين، وأصل اشتقاق هذه اللفظة من الستر والتغطية ومن الجنين لاستتاره في البطن والجانّ لاستتاره عن العيون، والمجن لستره ووقايته الوجه، والمجنون لاستتار عقله وتواريه عنه والجان هي الحية الصغيرة الرقيقة. ومنه سمي البستان جنة لأنه يَستُرُ من بداخله بالأشجار ويغطيه ولا يستحق هذا الاسم إلا موضع كثير الأشجار مختلف الأنواع، والجنة بالضم ما يستجن به من ترس أو غيره. **الاسم الثاني:** «دار السلام» وقد سماها الله بهذا الاسم في قوله: ﴿لَهُمْ دَارُ ٱلسَّلَٰمِ عِندَ رَبِّهِمْ﴾ وقوله ﴿وَٱللَّهُ يَدْعُوٓاْ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ﴾ وهي أحق بهذا الاسم فإنها دار السلامة من كل بلية وآفة ومكروه وهي دار الله واسمه سبحانه وتعالى السلام الذي سلَّمها وسلَّم أهلها ﴿وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَٰمٌ﴾ ﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ﴿٢٣﴾ سَلَٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ﴾ والرب تعالى يسلم عليهم من فوقهم كما قال تعالى: ﴿لَهُمْ فِيهَا فَٰكِهَةٌ وَلَهُم مَّا يَدَّعُونَ ﴿٥٧﴾ سَلَٰمٌ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ﴾ وكلامهم كلهم فيها سلام أي لا لغو فيها ولا فحش ولا باطل كما قال تعالى: ﴿لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا إِلَّا سَلَٰمًا﴾. **الاسم الثالث:** «دار الخلد» وسميت بذلك لأن أهلها لا يظعنون عنها أبداً كما قال تعالى: ﴿عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ﴾ وقال: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُۥ مِن نَّفَادٍ﴾ وقال: ﴿أُكُلُهَا دَآئِمٌ وَظِلُّهَا﴾ وقال: ﴿وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ﴾. **الاسم الرابع:** «دار المقامة» قال تعالى حكاية عن أهلها: ﴿وَقَالُواْ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَذْهَبَ عَنَّا ٱلْحَزَنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٤﴾ ٱلَّذِىٓ أَحَلَّنَا دَارَ ٱلْمُقَامَةِ مِن فَضْلِهِۦ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ﴾

قال مقاتل: أنزلنا دار الخلود. أقاموا فيها أبداً لا يموتون ولا يتحولون منها أبداً. قال الفراء والزَّجَّاج: المقامة مثل الإقامة يقال أقمت بالمكان إقامة ومقامة ومقاماً.

الاسم الخامس: «جنة المأوى» قال تعالى: ﴿ عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰٓ ﴾ والمأوى مفعل من أوى يأوي إذا انضم إلى المكان وصار إليه واستقر به، وقال عطاء عن ابن عباس: هي الجنة التي يأوى إليها جبريل والملائكة. وقال مقاتل والكلبي: هي جنة تأوى إليها أرواح الشهداء. وقال كعب: جنة المأوى جنة فيها طير خضر ترتع فيها أرواح الشهداء. وقالت عائشة رضي الله عنها وزر بن حبيش: هي جنة من الجنان، والصحيح أنه اسم من أسماء الجنة كما قال الله تعالى: ﴿ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ۝٤٠ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴾ وقال في النار ﴿ فَإِنَّ ٱلْجَحِيمَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴾ وقال: ﴿ مَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ ﴾. **الاسم السادس:** «جنّات عدن». فقيل هي اسم لجنة من الجنان والصحيح اسم لجملة الجنان وكلها جنات عدن، قال تعالى: ﴿ جَنَّٰتِ عَدْنٍ ٱلَّتِى وَعَدَ ٱلرَّحْمَٰنُ عِبَادَهُۥ بِٱلْغَيْبِ ﴾ وقال: ﴿ جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا ۖ وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴾ وقال تعالى: ﴿ وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ ﴾ والاشتقاق يدل على أن جميعها جنات عدن فإنّه من الإقامة والدوام، يقال عدن بالمكان إذا أقام به وعدنت البلد توطنته وعدنت الإبل بمكان كذا لزمته فلم تبرح منه. قال الجوهري: ومنه جنات عدن أي إقامة ومنه سمى المعدن بكسر الدال لأن الناس يقيمون فيه الصيف والشتاء ومركز كل شيء معدنه والعادن الناقة المقيمة في المرعى. **الاسم السابع:** «دار الحيوان» قال تعالى: ﴿ وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ لَهِىَ ٱلْحَيَوَانُ ﴾ والمراد الجنّة عند أهل التفسير قالوا: وأن الآخرة يعني الجنة لهي الحيوان: دار الحياة التي لا موت فيها، فقال الكلبي: هي حياة لا موت فيها. وقال الزَّجَّاج: هي دار الحياة الدائمة. وأهل

اللغة على أن الحيوان بمعنى الحياة. قال أبو عبيدة وابن قتيبة: الحياة الحيوان والحي بكسر الحاء واحد. قال أبو علي: يعني أنها مصادر فالحياة فعلة كالجبلة والحيوان كالنزوان والغليان والحي كالعي، فيحتمل قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ﴾ معنيين (أحدهما): أن حياة الآخرة هي الحياة لأنها لا تنغيص فيها ولا نفاد لها لا يشوبها ما يشوب الحياة في هذه الدار فيكون الحيوان مصدراً على هذا، (الثاني): أن يكون المعنى أنها الدار التي لا تفنى ولا تنقطع ولا تبيد كما يفنى الأحياء في هذه الدنيا فهي أحق بهذا الاسم من الحيوان الذي يفنى ويموت. **الاسم الثامن: «الفردوس»** قال تعالى: ﴿أُولَٰئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ ۝١٠ الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا ۝١٠٧ خَالِدِينَ فِيهَا﴾ والفردوس اسم يقال على جميع الجنة، ويقال على أفضلها وأعلاها كأنه أحق بهذا الاسم من غيره من الجنات وأصل الفردوس البستان والفراديس البساتين. قال كعب: هو البستان الذي فيه الأعناب. وقال الليث: الفردوس جنة ذات كروم يقال كرم مفردس أي معرش. وقال الضحاك: هي الجنة الملتفة بالأشجار وهو اختيار المبرد وقال: الفردوس فيما سمعت من كلام العرب الشجر الملتف والأغلب عليه العنب وجمعه الفراديس. قال حسان:

وأنّ ثواب الله كل مخلد ... جنان من الفردوس فيها يخلد.

الاسم التاسع: «جنات النعيم» قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتُ النَّعِيمِ﴾ وهذا أيضاً اسم جامع لجميع الجنات لما تضمنته من الأنواع التي يتنعم بها من المأكول والمشروب والملبوس والصور والرائحة الطيبة والمنظر البهيج والمساكن الواسعة وغير ذلك من النعيم الظاهر والباطن. **الاسم العاشر: «المقام الأمين»**

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ﴾ والمقام موضع الإقامة والأمين الآمن من كل سوء وآفة ومكروه وهو الذي قد جمع صفات الأمن كلها فهو آمن من الزوال والخراب وأنواع النقص وأهله آمنون فيه من الخروج والنغص والنكد و﴿ٱلْبَلَدِ ٱلْأَمِينِ﴾ الذي قد أمن أهله فيه مما يخاف منه سواهم، وتأمل كيف ذكر سبحانه الأمن في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ﴾ وفي قوله تعالى: ﴿يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَٰكِهَةٍ ءَامِنِينَ﴾ فجمع لهم بين أمن المكان وأمن الطعام فلا يخافون انقطاع الفاكهة ولا سوء عاقبتها ومضرتها وأمن الخروج منها فلا يخافون ذلك، وأمن الموت فلا يخافون فيها موتاً.

الاسم الحادي عشر والثاني عشر: «مقعد الصدق وقدم الصدق»، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٍ وَنَهَرٍ ﴿٥٤﴾ فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ﴾ فسمى جنته مقعد صدق للحصول على ما يراد من المقعد الحسن فيها كما يقال مودة صادقة إذا كانت ثابتة تامة وحلاوة صادقة وحملة صادقة ومنه الكلام الصدق لحصول مقصوده منه، وموضع هذه اللفظة في كلامهم الصحة والكمال، ومنه الصدق في الحديث والصدق في العمل. والصديق الذي يصدق قوله بالعمل. والصدق بالفتح الصلب من الرماح ويقال للرجل الشجاع أنه لذو مصدق أي صادق الحملة وهذا مصداق هذا أي ما يصدقه ومنه الصداقة لصفاء المودة والمخالة، ومنه صدقني القتال وصدقني المودة ومنه قدم صدق ولسان صدق ومدخل صدق ومخرج صدق وذلك كله للحق الثابت المقصود الذي يرغب فيه بخلاف الكذب الباطل الذي لا شيء تحته وهو لا يتضمن أمراً ثابتاً قط، وفسر قوم قدم صدق بالجنة وفُسِّر بالأعمال التي تنال الجنة وفسر بالسابقة التي سبقت لهم من الله وفسر بالرسول الذي على يده وهدايته نالوا ذلك والتحقيق أن الجميع حق فإنهم سبقت لهم من الله الحسنى بتلك السابقة أي بالأسباب التي قدرها لهم على يد رسوله

وادخر لهم جزاءها يوم القيامة ولسان الصدق وهو لسان الثناء الصادق بمحاسن الأفعال وجميل الطرائق وفي كونه لسان صدق إشارة إلى مطابقته للواقع وأنه ثناء بحق لا بباطل ومدخل الصدق ومخرج الصدق هو المدخل والمخرج الذي يكون صاحبه فيه ضامناً على الله وهو دخوله وخروجه بالله ولله، وهذه الدعوة من أنفع الدعاء للعبد فإنه لا يزال داخلاً في أمر وخارجاً من أمر فمتى كان دخوله لله وبالله وخروجه كذلك كان قد أُدخل مدخل صدق وأُخرج مخرج صدق والله المستعان. أ.هـ

وقال في لسان العرب: وقال أبو علي في التذكرة: لا تكون الجَنَّة في كلام العرب إلا وفيها نخل وعنب، فإن لم يكن فيها ذلك وكانت ذات شجر فهي حديقة وليست بجَنَّةٍ.

والجنَّةُ: هي دار النعيم في الدار الآخرة، من الاجتنان، وهو الستر لتكاثُفِ أشجارها وتظليلها بالتفافِ أغصانها، قال: وسمّيت بالجَنَّة وهي المرة الواحدة من مصدر جَنَّه جَنّاً إذا سَتَرَه، فكأنها سَتْرة واحدة لشدة التفافها وإظلالها.

وقال في لسان العرب أيضاً: **الفردوس**: البستان؛ قال الفراء: هو عربي.

قال ابن سيده: **الفردوس**: الوادي الخصيب عند العرب كالبستان، وهو بلسان الرُّوم البستان. والفردوس: الروضة؛ عن السيرافي. والفردوس: خُضْرة الأعناب. قال الزَّجَّاج وحقيقته أنه البستان الذي يجمع ما يكون في البساتين، وكذلك هو عند أهل اللغة. والفردوس حديقة في الجنة. وقوله تعالى وتقدس: ﴿ ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾.

والفردوس: أصله رُومي عُرِّب، وهو البستان، كذلك جاء في التفسير. والعرب تُسمِّي الموضع الذي فيه كرم: فردوساً. وقال أهل اللغة: الفردوس مذكر وإنما أُنث في قوله: ﴿ هُمْ فِيهَا ﴾ لأنه عنى به الجنة وفي الحديث: «نسألك الفردوس الأعلى».

قال أبو عمرو: مُفردساً أي محشوا مُكتنزاً، والمفردس: العريض الصدر. والفردسة: السعة.

- قال تعالى: ﴿ لَهُم مِّن جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِن فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ ﴾ (الأعراف: ٤١).

قال في الدر المنثور، أخرج ابن أبي شيبة عن سويد بن غفلة قال: إذا أراد الله أن يعذب أهل النار جعل لكل إنسان منهم تابوتاً من نار على قدره ثم أقفل عليه بأقفال من نار، فلا يعرف منه عرق إلا وفيه مسمار، ثم جعل ذلك التابوت في تابوت آخر من نار، ثم يقفل بأقفال من نار، ثم يضرم بينهما نار فلا يرى أحد منهم أن في النار غيره. فذلك قوله: ﴿ لَهُم مِّن فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِّنَ النَّارِ وَمِن تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ ﴾ وقوله: ﴿ لَهُم مِّن جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِن فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ ﴾.

وقال ابن عاشور، المهاد بكسر الميم: ما يمهد أي يُفرش، والغواش جمع غاشية وهي ما يغشى الإنسان، أي يغطيه كاللحاف، شبه ما هو تحتهم من النار بالمهاد، وما هو فوقهم منها بالغواشي، وذلك كناية عن انتفاء الراحة لهم في جهنم، فإنّ المرء يحتاج إلى المهاد والغاشية عند اضطجاعه للراحة، فإذا كان مهادهم وغاشيتهم النار، فقد انتفت راحتهم.

- قال تعالى: ﴿ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ ۖ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ ۖ لَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ ۖ وَنُودُوا أَن تِلْكُمُ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ (الأعراف: ٤٣).

قال القرطبي، ذكر الله عزَّ وجلَّ فيما ينعم به على أهل الجنّة نزع الغل من صدورهم والنزع: الاستخراج. والغل: الحقد الكامن في الصدر والجمع غِلال. أي

أذهبنا في الجنة ما كان في قلوبهم من الغل في الدنيا. قال النبي ﷺ : «الغل على باب الجنة كمبارك الإبل قد نزعه الله من قلوب المؤمنين». ورُوي عن علي رضي الله عنه أنه قال: «أرجو أن أكون أنا وعثمان وطلحة والزبير من الذين قال الله تعالى فيهم: ﴿ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ ﴾ . وقيل: نزع الغل في الجنة ألّا يحسد بعضهم بعضاً في تفاضل منازلهم. وقد قيل: إن ذلك يكون عن شراب الجنة، ولهذا قال: ﴿ وَسَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا ﴾ أي يطهر الأوضار من الصدور؛ ﴿وَنُودُوٓاْ﴾ أصله. نوديوا و«أن» في موضع نصب مخففة من الثقيلة، أي بأنه تلكم الجنة. وقد تكون تفسير لما نودوا به؛ لأن النداء قول؛ فلا يكون لها موضع. أي قيل لهم ﴿ تِلْكُمُ ٱلْجَنَّةُ ﴾ لأنهم وعدوا بها في الدنيا؛ أي قيل لهم: هذه تلكم الجنة التي وعدتم بها، أو يقال لهم ذلك قبل الدخول حين عاينوها من بُعد. وقيل: ﴿ تِلْكُمُ ﴾ بمعنى هذه. ومعنى ﴿ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ أي ورثتم منازلها بعملكم، ودخولكم إياها برحمة الله وفضله. كما قال: ﴿ ذَٰلِكَ ٱلْفَضْلُ مِنَ ٱللَّهِ ﴾ وقال: ﴿فَسَيُدْخِلُهُمْ فِي رَحْمَةٍ مِّنْهُ وَفَضْلٍ ﴾ وفي صحيح مسلم: «لن يدخل أحد منكم عمله الجنة» قالوا: ولا أنت يا رسول الله؟ قال: «ولا أنا إلا أن يتغمدني الله برحمة منه وفضل». وفي غير الصحيح: «ليس من كافر ولا مؤمن إلا وله في الجنة والنار منزل؛ فإذا دخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار رفعت الجنة لأهل النار فنظروا إلى منازلهم فيها، فقيل لهم: هذه منازلكم لو عملتم بطاعة الله. ثم يقال يا أهل الجنة رثوهم بما كنتم تعملون فتقتسم بين أهل الجنة منازلهم». وفي صحيح مسلم: «لا يموت رجل مسلم إلا أدخل الله مكانه في النار يهودياً أو نصرانياً» فهذا أيضاً ميراث؛ نعَّم بفضله من شاء وعذب بعدله من شاء، وبالجملة فالجنة ومنازلها لا تنال إلا برحمته فإذا

دخلوها بأعمالهم فقد ورثوها برحمته؛ ودخلوها برحمته؛ إذ أعمالهم رحمة منه لهم وتفضل عليهم. أ. هـ.

قلتُ: عن أبي سعيد الخدري وأبي هريرة رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: «ينادِ مُنادٍ: (أي على أهل الجنّة) إنَّ لَكُمْ أن تَصحِوّا فلا تَسْقَمُوا أبداً وإنَّ لكم أن تَحْيَوْا فلا تَمُوتوا أبداً وإنَّ لكم أن تَشِبُّوا فلا تَهْرَمُوا أبداً وإنَّ لكم أن تَنْعَمُوا فلا تَبْأَسُوا أبداً» فذلك قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَنُودُوٓاْ أَن تِلۡكُمُ ٱلۡجَنَّةُ أُورِثۡتُمُوهَا بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ﴾ (رواه البخاري ومسلم).

- قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَنَادَىٰٓ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِ أَصۡحَٰبَ ٱلۡجَنَّةِ أَنۡ أَفِيضُواْ عَلَيۡنَا مِنَ ٱلۡمَآءِ أَوۡ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُۚ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ (الأعراف: ٥٠).

قال الرازي: قال ابن عباس رضي الله عنهما: لما صار أصحاب الأعراف إلى الجنة، طمع أهل النار بفرج بعد اليأس، فقالوا: يا رب إن لنا قرابات من أهل الجنة فائذن لنا حتى نراهم ونكلمهم، فأمر الله الجنة فتزحزحت، ثم نظر أهل جهنم إلى قراباتهم في الجنّة وما هم فيه من النعيم فعرفوهم ونظر أهل الجنة إلى قراباتهم من أهل جهنم فلم يعرفوهم، وقد اسودت وجوههم وصاروا خلقاً آخر، فنادى أصحاب النار أصحاب الجنة بأسمائهم وقالوا: ﴿أَفِيضُواْ عَلَيۡنَا مِنَ ٱلۡمَآءِ﴾ وإنما طلبوا الماء خاصةً لشدة ما في بواطنهم من الاحتراق واللهيب بسبب شدة حر جهنم.

وقوله تعالى: ﴿أَفِيضُواْ﴾ كدلالة على أن أهل الجنة أعلى مكاناً من أهل النار فإن قيل: أسألوا مع الرجاء والجواز، أم مع اليأس؟

قلنا: ما حكيناه عن ابن عباس يدل على أنهم طلبوا الماء مع جواز الحصول، وقال القاضي بل مع اليأس، لأنهم قد عرفوا دوام عقابهم وأنه لا يفتر عنهم ولكن

الآيس من الشيء قد يطلبه كما يقال في المثل: «الغريق يتعلق بالزبد وإن علم أنه لا يغنيه». وقوله تعالى: ﴿أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ﴾ قيل: إنّه الثمار، وقيل إنه الطعام. وهذا الكلام يدل على وصول العطش الشديد، والجوع الشديد لهم.

وعن أبي الدرداء: إنّ الله تعالى يرسل على أهل النار الجوع حتى يزداد عذابهم، فيستغيثون فيغاثون بالضريع، لا يسمن ولا يغني من جوع ثم يستغيثون فيغاثون بطعام ذي غصة، ثم يذكرون الشراب فيستغيثون فيدفع إليهم الحميم والصديد بكلاليب الحديد فيقطع ما في بطونهم، ويستغيثون إلى أهل الجنة كما في هذه الآية فيقول أهل الجنة ﴿إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ ويقولون لمالك: ﴿لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ﴾ فيجيبهم على ما قيل بعد ألف عام ﴿إِنَّكُم مَّاكِثُونَ﴾ ويقولون: ﴿رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا﴾ فيجيبهم: ﴿اخْسَئُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ﴾ فعند ذلك ييأسون من كل خير، ويأخذون في الزفير والشهيق. أ. هـ.

وقال ابن رجب: وروى ابن أبي الدنيا بإسناده عن عبد الله بن عمر أنه شرب ماء بارداً فبكى واشتد بكاؤه، فقيل: ما يبكيك؟ فقال: ذكرت آية من كتاب الله قوله: ﴿وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ﴾ (سبأ: ٥٤)، فعرفت أن أهل النار لا يشتهون شيئاً، شهوتهم الماء البارد، وقد قال الله تعالى: ﴿أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ﴾ (الأعراف: ٥٠). وعن سلامة عن أبي مطيع، قال: أُتي الحسن بكوز من ماء ليفطر عليه فلما أدناه إلى فيه بكى، وقال: ذكرت أمنية أهل النار وقولهم: ﴿أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ﴾ وذكرت ما أجيبوا به: ﴿إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى الْكَافِرِينَ﴾.

- قال تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ يَتَوَفَّى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَٰرَهُمْ وَذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ﴾ (الأنفال: ٥٠).

قال القرطبي: وقيل هذا الضرب يكون عند الموت وقد يكون يوم القيامة حين يصيرون بهم إلى النار. ﴿وَذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ﴾ . قال الفراء: المعنى ويقولون ذوقوا، فحذف. وقال الحسن: هذا يوم القيامة، تقول لهم خزنة جهنم: ذوقوا عذاب الحريق؛ وروي أن في بعض التفاسير أنه يكون مع الملائكة مقامع من حديد، كلما ضربوا التهبت النار في الجراحات فذلك قوله: ﴿وَذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ﴾ . والذوق يكون محسوساً ومعنىً. وقد يوضع موضع الابتلاء والاختبار؛ تقول: اركب هذا الفرس فذقه. وانظر فلاناً فذق ما عنده.

- قال تعالى: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ ۚ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ (التوبة: ٧٢).

قال القرطبي: قوله تعالى: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ﴾ أي بساتين ﴿تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾ من تحت أشجارها وغرفها الأنهار. وقد تقدم في «البقرة» أنها تجري منضبطة بالقدرة في غير أخدود. ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً﴾ قصور من الزبرجد والدرّ والياقوت يفوح طيبها من مسيرة خمسمائة عام. ﴿فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ﴾ أي في دار إقامة. يقال: عَدَن بالمكان إذا أقام به، ومنه المعدن. وقال عطاء الخراساني: ﴿جَنَّٰتِ عَدْنٍ﴾ هي قصبة الجنة وسقفها عرش الرحمن جل وعز. وقال ابن مسعود: هي بطنان الجنة؛ أي وسطها. وقال الحسن: هي قصر من ذهب لا يدخلها

إلا نبي أو صديق أو شهيد أو حكمٌ عدل؛ ونحوه عن الضحاك. وقال مقاتل والكلبي: عدن أعلى درجة في الجنة؛ وفيها عين التسنيم والجنان حولها محفوظة بها، وهي مغطاة من يوم خلقها الله حتى ينزلها الأنبياء والصديقون والشهداء والصالحون ومن يشاء الله. ﴿وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾ أي أكبر من ذلك ﴿ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾.

وقال الرازي: قوله تعالى: ﴿جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا﴾ والأقرب أن يقال إنه تعالى أراد بها البساتين التي يتناولها المناظر لأنه تعالى قال بعده ﴿وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ﴾ والمعطوف يجب أن يكون مغايراً للمعطوف عليه، فتكون مساكنهم في جنات عدن، ومناظرهم الجنات التي هي البساتين، فتكون فائدة وصفها بأنها عدن، أنها تجري مجرى الدار التي يسكنها الإنسان وأما الجنات الآخرة فهي جارية مجرى البساتين التي قد يذهب الإنسان إليها لأجل التنزه وملاقاة الأحباب.

- قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ ۚ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ۖ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنجِيلِ وَالْقُرْآنِ ۚ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ ۚ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُم بِهِ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ (التوبة: ١١١).

قال ابن القيم: فجعل سبحانه ها هنا الجنة ثمناً لنفوس المؤمنين وأموالهم بحيث إذا بذلوها فيه استحقوا الثمن وعقد معهم هذا العقد وأكده بأنواع من التأكيد **(أحدها)** إخباره سبحانه وتعالى بصيغة الخبر المؤكد بأداة «إنّ» **(الثاني)** الإخبار بذلك بصيغة الماضي الذي قد وقع وثبت واستقر **(الثالث)** إضافة هذا العقد إلى نفسه سبحانه وأنه هو الذي اشترى هذا المبيع **(الرابع)** أنه أخبر بأنه وعد بتسليم هذا الثمن وعداً لا يخلفه ولا يتركه **(الخامس)** أنه أتى بصيغة «على» التي للوجوب

إعلاماً لعباده بأن ذلك حق عليه أحقه على نفسه (السادس) أنه أكد ذلك بكونه حقاً عليه (السابع) أنه أخبر عن محل هذا الوعد وأنه في أفضل كتبه المنزلة من السماء وهي التوراة والإنجيل والقرءان (الثامن) إعلامه لعباده بصيغة استفهام الإنكار وأنه لا أحد أوفى بعهده منه سبحانه (التاسع) أنه سبحانه وتعالى أمرهم أن يستبشروا بهذا العقد ويبشر به بعضهم بعضاً بشارة من قد تم له العقد ولزم بحيث لا يثبت فيه خيار ولا يعرض له بفسخه (العاشر) أنه أخبرهم إخباراً مؤكداً بأن ذلك البيع الذي بايعوه به هو الفوز العظيم والبيع هاهنا بمعنى المبيع الذي أخذوه بهذا الثمن وهو الجنة وقوله «بايعتم به» أي عاوضتم وثامنتم به ثم ذكر سبحانه: أهل هذا العقد الذي وقع العقد وتم لهم دون غيرهم وهم التائبون مما يكره، العابدون له بما يحب، الحامدون له على ما يحبون وما يكرهون، السائحون وفسرت السياحة بالصيام وفسرت بالسفر في طلب العلم وفسرت بالجهاد وفسرت بدوام الطاعة. والتحقيق فيها أنها سياحة القلب في ذكر الله ومحبته والإنابة إليه والشوق إلى لقائه ويترتب عليها كل ما ذكر من الأفعال ولذلك وصف الله سبحانه نساء النبي ﷺ اللاتي لو طلق أزواجه بدله بهن بأنهن سائحات وليست سياحتهن جهاداً ولا سفراً في طلب علم ولا إدامة صيام، وإنما هي سياحة قلوبهن في محبة الله وخشيته والإنابة إليه وذكره، وتأمل كيف جعل الله سبحانه التوبة والعبادة قريتين هذه ترك ما يكره وهذه فعل ما يحب، والحمد والسياحة قريتين هذا الثناء عليه بأوصاف كماله، وسياحة اللسان في أفضل ذكره وهذه سياحة القلب في حبه وذكره وإجلاله كما جعل سبحانه العبادة والسياحة قرينتين في صفة الأزواج فهذه عبادة البدن وهذه عبادة القلب، وجعل الإسلام والإيمان قرينين فهذا علانية وهذا في القلب كما في المسند عنه ﷺ: «الإسلام علانية، والإيمان في القلب»، وجعل القنوت والتوبة قرينتين،

هذا فعل ما يحب وذاك ترك ما يكره، وجعل الثيوبة والبكارة قرينتين فهذه قد وطئت وارتاضت وذللت صعوبتها وهذه روضة أنف لم يرتع فيها بعد، وجعل الركوع والسجود قرينتين وجعل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر قرينين وأدخل بينهما الواو دون ما تقدم إعلاماً بأن أحدهما لا يكفي حتى يكون مع الآخر، وجعل ذلك قريناً لحفظ حدوده، فهذا حفظها في نفس الإنسان وذاك أمر غيره بحفظها، وأفهمت الآية خطر النفس الإنسانية وعظم مقدارها فإن السلعة إذا خفي عليك قدرها فانظر إلى المشتري لها من هو، وانظر إلى الثمن المبذول فيها ما هو؟ وانظر إلى من جرى على يده عقد التبايع؟ فالسلعة النفس والله سبحانه المشتري لها، والثمن لها جنات النعيم والسفير في هذا العقد خير خلقه من الملائكة وأكرمهم عليه وخيرهم من البشر وأكرمهم عليه.

قد هيؤوك لأمر لو فطنت له ... فاربأ بنفسك أن ترعى مع الهمل

- قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ يَهۡدِيهِمۡ رَبُّهُم بِإِيمَٰنِهِمۡۖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهِمُ ٱلۡأَنۡهَٰرُ فِي جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴾ (يونس: ٩).

قال القرطبي: وقيل: ﴿ يَهۡدِيهِمۡ رَبُّهُم بِإِيمَٰنِهِمۡۖ ﴾ إلى مكان تجري من تحتهم الأنهار، وقال أبو روق: يهديهم ربهم بالنور على الصراط إلى الجنة، يجعل لهم نوراً يمشون به. ويروى عن النبي ﷺ ما يقوي هذا أنه قال: **«يتلقى المؤمن عمله في أحسن صورة فيؤنسه ويهديه ويتلقى الكافر عمله في أقبح صورة فيوحشه ويضله».**

هذا معنى الحديث. وقال ابن جريج: يجعل عملهم هادياً لهم. وقال الحسن: ﴿ يَهۡدِيهِمۡ ﴾ يرحمهم. قوله تعالى: ﴿ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهِمُ ٱلۡأَنۡهَٰرُ ﴾ قيل: في الكلام واو محذوفة، أي وتجري من تحتهم، أي من تحت بساتينهم. وقيل: من تحت أسِرّتهم؛ وهذا أحسن في النزهة والفرجة.

- قال تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُم بِإِيمَانِهِمْ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ ۝ دَعْوَاهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ (يونس: ٩-١٠).

قال ابن عاشور: الظاهر من الآية أنّ قوله: ﴿ دَعْوَاهُمْ ﴾ هو دعاؤهم وطلبهم للشهوات والملاذ التي في الجنة، ووجه قولهم ﴿ سُبْحَانَكَ ﴾ التي تدل على التنزيه للدلالة على عظيم وبديع نعيم الجنة المنزه عن مشابهة أيّ نعيم، كما يفيد الدلالة على أنهم حين يسألون هذا النعيم لا يسألونه عن فاقة أو تبخيل لرب الدار (دار الجنة)، فهم يقولون: سبحانك ربنا عن أن تكون قد أحوجتنا إلى أيّ لذةٍ أو بهجةٍ في دار كرامتك يا أكرم الأكرمين، ولكننا نسأل لأنه لا غنى لنا عن فضلك وجودك ولأنك - لكرمك - تحب منا أن نسأل، وإنما لم يطلبوا ما يشتهونه صراحةً لكمال معرفتهم بالله، وكمال المعرفة يقتضي عدم طلب الشهوات والملاذ صراحةً كما كان حال النبي ﷺ في سؤاله أمور الدنيا بقوله: «ربنا آتنا في الدنيا حسنة»، وكان آخر دعواهم «الحمد لله رب العالمين» إيذاناً بأنّ الله قد أعطاهم ما تمنوه وزيادة، فهو رب العالمين وخالق كل شيء ومالك كل شيء والقادر على كل شيء.

وقال الرازي: المسألة الثانية: أن قوله تعالى: ﴿ سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ ﴾ فيها وجهان:

الوجه الأول: قول من يقول: إن أهل الجنة جعلوا هنا الذكر علامة على طلب المشتهيات، قال ابن جريج: إذا مر بهم طير اشتهوه قالوا سبحانك اللهم؛ فيؤتون به، فإذا نالوا منه شهوتهم قالوا: ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾

وقال الكلبي: قوله تعالى: ﴿ سُبْحَٰنَكَ ٱللَّهُمَّ ﴾ علم بين أهل الجنة والخدام، فإذا سمعوا ذلك من قولهم أتوهم بما يشتهون. واعلم أن هذا القول عندي ضعيف جداً وبيانه من وجوه: **أحدها**: أن حاصل هذا الكلام يرجع إلى أن أهل الجنة جعلوا هذا الذكر العالي المقدس علامة على طلب المأكول والمشروب والمنكوح وهذا في غاية الخساسة. **ثانيها**: أنه تعالى قال في صفة أهل الجنة ﴿وَلَهُم مَّا يَشْتَهُونَ﴾ فإذا اشتهوا أكل ذلك الطير، فلا حاجة بهم إلى الطلب، وإذا لم يكن بهم حاجة إلى الطلب، فقد سقط هذا الكلام. **ثالثها**: أن هذا يقتضي صرف الكلام عن ظاهره الشريف العالي إلى محمل خسيس لا إشعار للفظ به. وهذا باطل.

الوجه الثاني: في تأويل هذه الآية أن نقول: المراد اشتغال أهل الجنة بتقديس الله سبحانه وتمجيده والثناء عليه. لأجل أن سعادتهم في هذا الذكر وابتهاجهم به وسرورهم به. وكمال حالهم لا يحصل إلا منه، وهذا القول هو الصحيح الذي لا محيد عنه.

قلتُ: لا خساسة في طلب المأكول والمنكوح في الجنة، ولا مانع من صحة القولين معاً، فهم ينزهون الله مطلقاً ويسبحون بحمدهم عند طلب المشتهيات، والله أعلم.

- **قال تعالى**: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ۖ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٦﴾ وَٱلَّذِينَ كَسَبُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ جَزَآءُ سَيِّئَةٍۭ بِمِثْلِهَا وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ۖ مَّا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ ۖ كَأَنَّمَآ أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطَعًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مُظْلِمًا ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ (يونس: ٢٦-٢٧).

قال سيد قطب : فأما الذين أحسنوا .. أحسنوا الاعتقاد وأحسنوا العمل وأحسنوا معرفة الصراط المستقيم وإدراك القانون الإلهي المؤدي إلى دار السلام فأما هؤلاء فلهم الحسنى جزاء ما أحسنوا وعليها زيادة من فضل الله غير محدودة: ﴿ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ﴾ وهم ناجون من كربات يوم الحشر، ومن أهوال الموقف قبل أن يفصل في أمر الخلق. ﴿ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ ﴾ والقتر: الغبار والسواد وكدرة اللون من الحزن أو الضيق. والذلة: الانكسار والمهانة أو الإهانة فلا يغشى وجوهم قتر ولا تكسو ملامحهم الذلة والتعبير يوحي بأن في الموقف من الزحام والهول والكرب والخوف والمهانة ما يخلع آثاره على الوجوه، فالنجاة من هذا كله غنيمة وفضل من الله يضاف إلى الجزاء المزيد فيه. ﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ ﴾ أصحاب هذه المنزلة العالية البعيدة الآفاق ﴿ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ ﴾ ومُلّاكها ورفاقها ﴿ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾.

﴿ وَٱلَّذِينَ كَسَبُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ﴾ فكانت هي الربح الذي خرجوا به من صفقة الحياة! هؤلاء ينالهم عدل الله فلا يضاعف لهم الجزاء ولا يزاد عليهم السوء ولكن ﴿ جَزَآءُ سَيِّئَةٍۭ بِمِثْلِهَا ﴾ ﴿ وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ﴾ تغشاهم وتركبهم وتكربهم ﴿ مَّا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ ﴾ يعصمهم ويمنعهم من المصير المحتوم نفاذاً لسنة الله الكونية فيمن يحيد عن الطريق ويخالف الناموس. ثم يرسم السياق صورة حسية للظلام النفسي والكدرة التي تغشى وجه المكروب المأخوذ المرعوب. ﴿ كَأَنَّمَآ أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطَعًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مُظْلِمًا ﴾ كأنما أخذ من الليل المظلم فقطع رقعاً غشيت بها هذه الوجوه! وهكذا يغشى الجو كله ظلام من ظلام الليل المظلم ورهبة من رهبته تبدو فيه هذه الوجوه ملفعة بأغشية من هذا الليل البهيم ﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ ﴾ المبعدون في هذا الظلام والقتام ﴿ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ﴾ ملاكها ورفاقها ﴿ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾.

- قال تعالى: ﴿ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ شَقُوا۟ فَفِى ٱلنَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ ﴾ (هود: ١٠٦).

قال ابن عاشور: الزفير هو إخراج الأنفاس بدفع وشدةٍ بسبب ضغط التنفس، والشهيق: عكسه وهو اجتلاب الهواء إلى الصدر بشدة لقوة الاحتياج إلى التنفس، وخص بالذكر من أحوالهم في جهنم الزفير والشهيق تنفيراً من أسباب المصير إلى النار لما في ذكر هاتين الحالتين من التشويه لهم وذلك أخوف لهم من الألم.

- قال تعالى: ﴿ جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ﴾ (الرعد: ٢٣).

قال ابن عاشور: «هذا من كرامتهم والتنويه بهم، فإنّ تردد رسل الله عليهم مصهر من مظاهر إكرامه لهم، وذكر ﴿ مِّن كُلِّ بَابٍ ﴾ كناية عن كثرة غشيان الملائكة إياهم بحيث لا يخلو باب من أبواب بيوتهم لا تدخل منه الملائكة؛ ذلك أنّ هذا الدخول لما كان مجلبة مسرة كان كثيراً في الأمكنة. ويفهم منه أنّ ذلك كثير في الأزمنة فهو متكرر لأنهم ما دخلوا من كل باب إلّا لأنّ كل باب مشغول بطائفة منهم، فكأنه قيل: من كل باب في كل آنٍ» أ. هـ.

قلتُ: ولعل ذلك لدوام التهنئة لهم بهذا الفوز العظيم الكبير، جعلنا الله من أهله، اللهمّ آمين. وكذا لدوام التسليم عليهم وإلقاء التحايا عليهم، وكذا لدوام إتحافهم بالهدايا وأنواع الملاذ من الأطعمة والأشربة، ولعل من حكم ذلك بيان أنّ أهل الجنة كلهم ملوك، والملائكة تقوم على أبوابهم كهيئة أبواب الملوك الدنيا التي تقوم الخدام عليها استعداداً لأوامر الملوك وقياماً على شئونهم، فيالنعيم أقوامٍ الملائكةُ خدمهم!!

- قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ طُوبَىٰ لَهُمْ وَحُسْنُ مَـَٔابٍ﴾ (الرعد: ٢٩).

قال الرازي: «قول أهل اللغة: أن طوبى مصدر من طاب، كبشرى وزلفى. ومعنى طوبى لك: أصبت طيباً. ثم اختلفوا على وجوه: فقيل: فرح وقرة عين لهم، عن ابن عباس رضي الله عنهما. وقيل: نعم ما لهم، عن عكرمة. وقيل غبطة لهم؛ عن الضحاك. وقيل حسن لهم؛ عن قتادة. وقيل: خير وكرامة؛ عن أبي بكر الأصم، وقيل: العيش الطيب لهم؛ عن الزَّجَّاج. واعلم أن المعاني متقاربة والتفاوت يقرب من أن يكون في اللفظ. والحاصل أنه مبالغة في نيل الطيبات. ويدخل فيه جميع اللذات. وتفسيره أن أطيب الأشياء في كل الأمور حاصل لهم» أ. هـ.

قلتُ: عن أبي سعيد الخدري، عن رسول الله ﷺ قال: «**طوبى شجرةٌ في الجنة، مسيرة مائة عام، ثياب أهل الجنة تخرج من أكمامها**» (السلسلة الصحيحة: ١٩٨٥).

وعن أبي سعيد الخدري أن النبي ﷺ قال: «**إن في الجنة شجرة يسيرُ الراكبُ الجوادُ المُضَمَّر السريعَ مائة عام لا يقطعها**» (رواه البخاري ومسلم).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنّه قال: «**إن في الجنَّةِ لشجرة يسيرُ الراكبُ في ظلِّهَا مِائَةَ سنةٍ**». وفي رواية عن سهل بن سعد رضي الله عنه: «**إن في الجنَّةِ لشجرة يسيرُ الراكبُ في ظلِّهَا مِائَةَ عامٍ لا يقطعُهَا**».

- قال تعالى: ﴿مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ ۖ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ أُكُلُهَا دَآئِمٌ وَظِلُّهَا ۚ تِلْكَ عُقْبَى ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ ۖ وَّعُقْبَى ٱلْكَٰفِرِينَ ٱلنَّارُ﴾ (الرعد: ٣٥).

قال في الدر المنثور: «أخرج ابن أبي حاتم وأبو الشيخ، عن عكرمة رحمه الله في قوله ﴿ مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ﴾ قال: نعت الجنة، ليس للجنة مثل.

وأخرج ابن أبي حاتم وأبو الشيخ، عن إبراهيم التيمي رحمه الله في قوله ﴿ أُكُلُهَا دَآئِمٌ ﴾ قال: لذتها دائمة في أفواههم.

وأخرج ابن المنذر وأبو الشيخ، عن خارجة بن مصعب رحمه الله قال: كفرت الجهمية بآيات من القرءان، قالوا: إن الجنة تنفد، ومن قال تنفد فقد كفر بالقرءان. قال الله تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُۥ مِن نَّفَادٍ ﴾ (ص: ٥٤)، وقال: ﴿ لَّا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ ﴾ (الواقعة: ٣٣)، فمن قال أنها تنقطع فقد كفر. وقال: ﴿ عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ ﴾ (هود: ١٠٨)، فمن قال أنها تنقطع فقد كفر. وقال: ﴿ أُكُلُهَا دَآئِمٌ وَظِلُّهَا ﴾ فمن قال أنها لا تدوم، فقد كفر.

وأخرج ابن المنذر وأبو الشيخ، عن مالك بن أنس رحمه الله قال: ما من شيء من ثمار الدنيا أشبه بثمار الجنة من الموز، لأنك لا تطلبه في صيف ولا شتاء إلا وجدته. قال الله تعالى: ﴿ أُكُلُهَا دَآئِمٌ ﴾ » أ. هـ.

قلتُ: ومن لطائف الآية أنّ الله قال: ﴿ أُكُلُهَا دَآئِمٌ وَظِلُّهَا ﴾ ولم يقل: «أكلها وظلها دائمان» لأنّ دوام الأكل حقيقي وأمّا الظل فهو كناية عن عدم الحرّ، وإلّا فلا شمس في الجنة.

- قال تعالى: ﴿ وَٱسْتَفْتَحُواْ وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ﴿١٥﴾ مِّن وَرَآئِهِۦ جَهَنَّمُ وَيُسْقَىٰ مِن مَّآءٍ صَدِيدٍ ﴿١٦﴾ يَتَجَرَّعُهُۥ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُۥ وَيَأْتِيهِ ٱلْمَوْتُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ وَمِن وَرَآئِهِۦ عَذَابٌ غَلِيظٌ ﴾ (إبراهيم: ١٥-١٧).

قال الرازي، الأمر الأول: قوله تعالى: ﴿مِّن وَرَآئِهِۦ جَهَنَّمُ﴾ وفيه إشكال، وهو أن المراد: أمامه جهنم، فكيف أطلق لفظ الوراء على القدم والأمام؟

أجابوا عنه من وجوه:

الأول: أن لفظ «وراء» اسم لما يُوارى عنك، فصح إطلاق لفظ «وراء» على كل واحد منهما. قال الشاعر:

عسى الكرب الذي أمسيت فيه يكونُ وراءه فرجٌ قريبُ

ويقال أيضاً: الموت وراء كل أحد.

الثاني: قال أبو عبيد وابن السكيت: الوراء من الأضداد، يقع على الخلاف والقدام، والسبب فيه أن كل ما كان خلفاً فإنه يجوز أن ينقلب قداماً وبالعكس، فلا جرم جاز وقوع لفظ الوراء على القدام، ومنه قوله تعالى: ﴿وَكَانَ وَرَآءَهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ﴾ (الكهف: ٧٩) أي أمامهم، ويقال الموت من وراء الإنسان.

الثالث: قال ابن الأنباري «وراء» بمعنى بعد. قال الشاعر: «وليس وراء الله للمرء مذهب»، أي وليس بعد الله مذهب.

إذا ثبت هذا فنقول: إنه تعالى حكم عليه بالخيبة في قوله تعالى: ﴿وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ﴾ (إبراهيم: ١٥). ثم قال: ﴿مِّن وَرَآئِهِۦ جَهَنَّمُ﴾ أي: ومن بعد الخيبة يدخل جهنم.

الأمر الثاني: مما ذكره الله تعالى من أحوال هذا الكافر قوله تعالى: ﴿وَيُسْقَىٰ مِن مَّآءٍ صَدِيدٍ ۝ يَتَجَرَّعُهُۥ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُۥ﴾ (إبراهيم: ١٦، ١٧). وفيه سؤالات:

السؤال الأول: علام عطف «ويسقى»؟

الجواب: على محذوف تقديره: من ورائه جهنم يُلقَى فيها ويسقى من ماء صديد.

عذاب أهل النار من وجوه كثيرة، فلم خص هذه الحالة بالذكر؟

السؤال الثاني: عذاب أهل النار من وجوه كثيرة، فلم خص هذه الحالة بالذكر مع

الجواب: يشبه أن تكون هذه الحالة أشد أنواع العذاب، فخصص بالذكر مع قوله تعالى: ﴿وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ﴾.

السؤال الثالث: ما وجه قوله تعالى: ﴿مِن مَّاءٍ صَدِيدٍ﴾؟

الجواب: أنه عطف بيان والتقدير: أنه لما قال تعالى: ﴿وَيُسْقَىٰ مِن مَّاءٍ﴾ فكأنه قيل: وما ذلك الماء فقال: ﴿صَدِيدٍ﴾ والصديد ما يسيل من جلود أهل النار.

وقيل: التقدير: ويسقى من ماء كالصديد، وذلك بأن يخلق الله تعالى في جهنم ما يشبه الصديد في النتن والغلظ والقذارة، وهو أيضاً يكون في نفسه صديداً، لأن كراهته تصد عن تناوله وهو كقوله تعالى: ﴿وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ﴾ (محمد: ١٥). و﴿وَإِن يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ﴾ (الكهف: ٢٩).

السؤال الرابع: ما معنى: ﴿يَتَجَرَّعُهُ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُ﴾؟

الجواب: التجرع تناول المشروب جرعة جرعة على الاستمرار، ويقال: ساغ الشراب في الحلق يسوغ سوغاً وأساغه إساغة. واعلم أن «يكاد» فيه قولان:

القول الأول: أن نفيه إثبات، وإثباته نفي، فقوله تعالى: ﴿وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُ﴾ أي ويسيغه بعد إبطاء، لأن العرب تقول: ما كدت أقوم، أي قمت بعد إبطاء، قال تعالى: ﴿فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ﴾ (البقرة: ٧١) يعني فعلوا بعد إبطاء، والدليل على حصول الإساغة قوله تعالى: ﴿يُصْهَرُ بِهِ مَا فِي بُطُونِهِمْ وَالْجُلُودُ﴾ (الحج: ٢٠) ولا يحصل الصهر إلا بعد الإساغة، وأيضاً فإن قوله تعالى: ﴿يَتَجَرَّعُهُ﴾ يدل على أنهم أساغوا الشيء بعد الشيء، فكيف يصح أن يقال بعده إنه لا يسيغه البتة؟

القول الثاني: أنّ كاد للمقاربة، فقوله تعالى: ﴿وَلَا يَكَادُ﴾ لنفي المقاربة يعني: ولم يقارب أن يسيغه فكيف يحصل الإساغة، كقوله تعالى: ﴿لَمْ يَكَدْ يَرَىٰهَا﴾ (النور: ٤٠) أي لم يقرب من رؤيتها فكيف يراها؟

فإن قيل: فقد ذكرتم الدليل على حصول الإساغة، فكيف الجمع بينه وبين هذا الوجه. قلنا: عنه جوابان:

أحدهما: أن المعنى: ولا يسيغ جميعه كأنه يجرع البعض وما ساغ الجميع.

ثانيهما: أن الدليل الذي ذكرتم إنما دل على وصول بعض ذلك الشراب إلى جوف الكافر، إلا أن ذلك ليس بإساغة، لأن الإساغة في اللغة إجراء الشراب في الحلق بقبول النفس واستطابة المشروب، والكافر يتجرع ذلك الشراب على كراهية ولا يستطيبه ولا يشربه شرباً بمرة واحدة، وعلى هذين الوجهين يصح حمل لا يكاد على نفي المقاربة ـ والله أعلم.

الأمر الثالث: مما ذكره الله تعالى في وعيد هذا الكافر قوله تعالى: ﴿وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ﴾ والمعنى: أن موجبات الموت أحاطت به من جميع الجهات، ومع ذلك فإنه لا يموت؛ وقيل: من كل جزء من أجزاء جسده.

الأمر الرابع: قوله تعالى: ﴿وَمِن وَرَائِهِۦ عَذَابٌ غَلِيظٌ﴾ وفيه وجهان:

الأول: أن المراد من العذاب الغليظ كونه دائماً غير منقطع.

الثاني: أنه في كل وقت يستقبله يتلقى عذاباً أشد مما قبله. قال الفضل: هو قطع الأنفاس وحبسها في الأجساد ـ والله أعلم. أ. هـ.

فائدة: قال في لسان العرب مبيناً معنى قوله: ﴿يَتَجَرَّعُهُۥ﴾.

واجترعه وتجرّعه: بلعه. وقيل: إذا تابع الجرع مرة بعد أخرى كالمتكاره قيل: تجرّعه، قال الله عز وجل: ﴿يَتَجَرَّعُهُ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُ﴾.

قال ابن الأثير: «التجرّعُ شرب في عجلة، وقيل: هو الشرب قليلاً قليلاً، أشار به إلى قوله تعالى: ﴿يَتَجَرَّعُهُ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُ﴾ والاسم الجرْعة والجُرْعَةُ وهي حسوة منه، وقيل: الجَرْعة المرة الواحدة، والجُرْعة ما اجترَعْته» أ. هـ.

وقال في الدر المنثور، وأخرج أحمد والترمذي والنسائي وابن أبي الدنيا في صفة النار وأبو يعلى وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم والطبراني وأبو نعيم في الحلية وصححه وابن مردوية والبيهقي في البعث والنشور عن أبي أمامة ﷺ عن النبي ﷺ في قوله ﴿يَتَجَرَّعُهُ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُ﴾ قال: «يقرب إليه فيتكرهه فإذا أدني منه شوى وجهه ووقعت فروة رأسه فإذا شربه قطع أمعاءه حتى يخرج من دبره» يقول الله تعالى: ﴿وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ﴾ وقال: ﴿وَإِن يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ﴾. وأخرج ابن أبي شيبة عن ابن عباس ﷺ في قوله ﴿مِن مَّاءٍ صَدِيدٍ﴾ قال: «ما يسيل بين جلد الكافر ولحمه» وأخرج عبد بن حميد وابن أبي حاتم عن عكرمة ﷺ في قوله ﴿وَيُسْقَىٰ مِن مَّاءٍ صَدِيدٍ﴾ قال: «القيح والدم»، وأخرج ابن أبي شيبة وابن جرير وابن المنذر والبيهقي في البعث والنشور عن مجاهد في قوله ﴿مِن مَّاءٍ صَدِيدٍ﴾ قال: «دم وقيح»، وأخرج عبد الرزاق وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم عن قتادة ﷺ في قوله ﴿وَيُسْقَىٰ مِن مَّاءٍ صَدِيدٍ﴾ قال: «ماء يسيل من بين لحمه وجلده»، وأخرج ابن أبي شيبة عن الحسن ﷺ قال: «لو أن دلواً من صديد جهنم دُلّي من السماء فوجد أهل الأرض ريحه لأفسد عليهم الدنيا» أ. هـ.

وقال ابن عاشور: «﴿وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ﴾ أي حلول آلامه وسكراته، ﴿وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ﴾ أي فيستريح، ﴿وَمِن وَرَائِهِ عَذَابٌ غَلِيظٌ﴾ الغليظ: حقيقته الخشن الجسم، وهو مستعمل هنا في القوة والشدة بجامع الوفرة في كلٍّ» أ. هـ.

وقال ابن رجب: وقال إبراهيم في قوله: ﴿وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِن كُلِّ مَكَانٍ﴾ حتى من تحت كل شعرة في جسده. وقال الضحاك: «حتى من إبهام رجليه»، والمعنى أنه يأتيه مثل شدة الموت وألمه من كل جزء من أجزاء بدنه حتى شعره وظفره، وهو مع هذا لا تخرج نفسه فيستريح. وقال ابن جريج: «تعلق نفسه عند حنجرته فلا تخرج من فيه فيستريح ولا ترجع إلى مكانها من جوفه»، وتأول جماعة من المفسرين على ذلك قوله تعالى: ﴿لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ﴾. وقال الأوزاعي عن بلال بن سعد: تُنادَى النار يوم القيامة يا نار احرقي، يا نار اشتفي، يا نار أنضجي، كلي ولا تقتلي.

- قال تعالى: ﴿وَبَرَزُوا لِلَّهِ جَمِيعًا فَقَالَ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا مِنْ عَذَابِ اللَّهِ مِن شَيْءٍ قَالُوا لَوْ هَدَانَا اللَّهُ لَهَدَيْنَاكُمْ سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَجَزِعْنَا أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِن مَّحِيصٍ ﴿٢١﴾ وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَانٍ إِلَّا أَن دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنفُسَكُم مَّا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنتُم بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾

(إبراهيم: ٢١، ٢٢).

قال القرطبي، وقال محمد بن كعب القرظي: ذكر لنا أن أهل النار يقول بعضهم لبعض: يا هؤلاء! قد نزل بكم من البلاء والعذاب ما قد ترون، فهلم، فلعل الصبر ينفعنا كما صبر أهل الطاعة على طاعة الله فنفعهم الصبر إذا صبروا فأجمعوا رأيهم على الصبر فصبروا حتى طال صبرهم فجزعوا، فنادوا ﴿سَوَآءٌ عَلَيْنَآ أَجَزِعْنَآ أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِن مَّحِيصٍ﴾ أي منجى، فقام إبليس عند ذلك فقال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ ٱلْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ ۖ وَمَا كَانَ لِىَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَٰنٍ إِلَّآ أَن دَعَوْتُكُمْ فَٱسْتَجَبْتُمْ لِى ۖ فَلَا تَلُومُونِى وَلُومُوٓا۟ أَنفُسَكُم ۖ مَّآ أَنَا۠ بِمُصْرِخِكُمْ﴾ يقول: لست بمغنٍ عنكم شيئاً ﴿وَمَآ أَنتُم بِمُصْرِخِىَّ ۖ إِنِّى كَفَرْتُ بِمَآ أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ﴾.

- قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٤٥﴾ ٱدْخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ ءَامِنِينَ ﴿٤٦﴾ وَنَزَعْنَا مَا فِى صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَٰنًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَٰبِلِينَ ﴿٤٧﴾ لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ﴾ (الحجر: ٤٥-٤٨).

قال الرازي، وقوله تعالى: ﴿عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَٰبِلِينَ﴾ السرير معروف والجمع أسرة وسرر.

وقال بعض أهل المعاني: «السرير مجلس رفيع مهيأ للسرور وهو مأخوذ منه لأنه مجلس سرور». وقال الليث: «وسرير العيش مستقره الذي اطمأن إليه في حال سروره وفرحه». وقال ابن عباس: «يريد على سرر من ذهب مكللة بالزبرجد والدرر والياقوت، والسرير مثل ما بين صنعاء إلى الجابية».

وقوله تعالى: ﴿مُّتَقَٰبِلِينَ﴾ التقابل التواجه، وهو نقيض التدابر، ولا شك أن المواجهة أشرف الأحوال. وقوله تعالى: ﴿لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ﴾ النَصَب: الإعياء

والتعب أي لا ينالهم فيها تعب. ﴿ وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ ﴾ والمراد به كونه خلوداً بلا زوال وبقاءً بلا فناء، وكمالاً بلا نقصان وفوزاً بلا حرمان.

وقال القرطبي، ﴿ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ ﴾ أي لا ينظر بعضهم إلى قفا بعض تواصلاً وتحابباً، عن مجاهد وغيره. وقيل: الأسرة تدور كيفما شاءوا فلا يرى أحد قفا أحدٍ وقيل: ﴿ مُّتَقَابِلِينَ ﴾ قد أقبلت عليهم الأزواج وأقبلوا عليهن بالود. وسرر جمع سرير. مثل جديد وجدد، وقيل: هو من السرور فكأنه مكان رفيع ممهد للسرور والأول أظهر. قال ابن عباس: على سرر مكللة بالياقوت والزبرجد والدرر، والسرير ما بين صنعاء إلى الجابية وما بين عدن إلى أيلة.

وقال الألوسي في قوله تعالى: ﴿ لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ ﴾ (الحجر: ٤٨) إمّا بأنه لا يوجد ما يوجب النصب من السعي في تحصيل ما لابد لهم منه لحصول كل ما يشتهونه من غير مزاولة عمل أصلاً، وإمّا بأن لا يعتريهم ذلك وإن باشروا الحركات العنيفة لكمال قوتهم، وفي بعض الآثار: أنّ قوة الواحد منهم قوة أربعين رجلاً من رجال الدنيا.

- قال تعالى: ﴿ فَادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا ۖ فَلَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ ﴾ (النحل: ٢٩).

قال ابن عاشور، المثوى المرجع من ثَوِي إذا رجع، أو المقام من ثَوِي إذا أقام، ولم يقل عن جهنم «دار» كما قال عن الجنة ﴿ وَلَنِعْمَ دَارُ الْمُتَّقِينَ ﴾ (النحل: ٣٠)، تحقيراً لهم وأنهم ليسوا في جهنم بمنزلة أهل الدار بل هم مترامون في النار وهم في مثوى، أي محلٍ سواء.

- قال تعالى: ﴿ وَقِيلَ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا مَاذَا أَنزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا خَيْرًا لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَٰذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ وَلَنِعْمَ دَارُ الْمُتَّقِينَ ۞ جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ كَذَٰلِكَ يَجْزِي اللَّهُ الْمُتَّقِينَ ﴾ (النحل: ٣٠، ٣١).

قال الرازي، إنه تعالى قال: ﴿ لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ ﴾ وفيه بحثان:

الأول: أن هذه الكلمة تدل على حصول كل الخيرات والسعادات، وهذا أبلغ من قوله تعالى: ﴿ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ ﴾ (الزخرف: ٧١)، لأن هذين القسمين داخلان في قوله تعالى: ﴿ لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ ﴾ مع أقسام أخرى.

الثاني: قوله تعالى: ﴿ لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ ﴾ يعني هذه الحالة لا تحصل إلا في الجنة، لأن قوله تعالى: ﴿ لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ ﴾ يفيد الحصر، وذلك يدل على أن الإنسان لا يجد كل ما يريده في الدنيا. ثم قال تعالى: ﴿ كَذَٰلِكَ يَجْزِي اللَّهُ الْمُتَّقِينَ ﴾ أي هكذا يكون جزاء التقوى.

- قال تعالى: ﴿ وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا مَّأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا ﴾ (الإسراء: ٩٧).

قال ابن رجب، قال ابن عباس كلما طفئت أوقدت، وقال ابن عباس: خبت وسكنت، وقال بن قتيبة: خبت النار إذا سكن لهبها فاللهب يسكن والجمر يعمل، وقال غيره من المفسرين: تأكلهم فإذا صاروا فحماً ولم تجد النار شيئاً تأكله أعيد خلقهم خلقاً جديداً فتعود لأكلهم. وقوله: ﴿ زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا ﴾ أي ناراً تسعر وتلهب.

وقرأ عمر بن عبد العزيز ليلة في صلاته سورة ﴿ وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَغۡشَىٰ ﴾ فلما بلغ قوله ﴿ فَأَنذَرۡتُكُمۡ نَارٗا تَلَظَّىٰ ﴾ بكى فلم يستطع أن يجاوزها مرتين أو ثلاثاً، ثم قرأ سورة أخرى غيرها.

فائدة، قال ابن عاشور: وفي قوله: ﴿ كُلَّمَا خَبَتۡ زِدۡنَٰهُمۡ سَعِيرٗا ﴾ إشكال لأن نار جهنم لا تخبو. وقد قال تعالى: ﴿ فَلَا يُخَفَّفُ عَنۡهُمُ ٱلۡعَذَابُ ﴾ فعن ابن عباس: أن الكفرة وقود للنار قال تعالى: ﴿ وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ ﴾ فإذا أحرقتهم النار زال اللهب الذي كان متصاعداً من أجسامهم فلا يلبثون أن يعادوا كما كانوا فيعود الالتهاب لهم. فالخبو وازدياد الاشتعال بالنسبة إلى أجسادهم لا في أصل نار جهنم ولهذه النكتة سلط فعل ﴿ زِدۡنَٰهُمۡ ﴾ على ضمير المشركين للدلالة على أن ازدياد السعير كان فيهم فكأنه قيل: «كلما خبت فيهم زدناهم سعيراً» ولم يقل: «زدناها سعيراً».

وعندي: أن معنى الآية جار على طريق التهكم وبادئ الإطماع المسفر عن خيبة لأنه جعل ازدياد السعير مقترناً بكل زمان من أزمنة الخبو كما تفيده كلمة ﴿ كُلَّمَا ﴾ التي هي بمعنى كل زمان وهذا في ظاهره إطماع بحصول خبو لورود لفظ الخبو في الظاهر ولكنه يؤول إلى يأس منه إذ يدل على دوام سعيرها في كل الأزمان لاقتران ازدياد سعيرها بكل أزمان خبوها فهذا الكلام من قبيل التلميح وهو من قبيل قوله تعالى: ﴿ وَلَا يَدۡخُلُونَ ٱلۡجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلۡجَمَلُ فِي سَمِّ ٱلۡخِيَاطِ ﴾، وقول إياس القاضي للخصم الذي سأله: على من قضيت؟ فقال: على ابن أخت خالك.

- قال تعالى: ﴿ إِنَّآ أَعۡتَدۡنَا لِلظَّٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمۡ سُرَادِقُهَاۚ وَإِن يَسۡتَغِيثُواْ يُغَاثُواْ بِمَآءٖ كَٱلۡمُهۡلِ يَشۡوِي ٱلۡوُجُوهَۚ بِئۡسَ ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتۡ مُرۡتَفَقًا ﴾ (الكهف: ٢٩).

قال الرازي، وصف تعالى تلك النار بصفتين:

الصفة الأولى: قوله تعالى: ﴿أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا﴾ والسرادق هو الحجزة التي تكون حول الفسطاط فأثبت للنار شيئاً شبيهاً بذلك يحيط بهم من جميع الجهات، والمراد أنه لا مخلص لهم ولا فرجة يتفرجون بالنظر إلى ما وراءها من غير النار بل هي محيطة بهم من كل الجوانب. قال بعضهم: المراد من هذا السرادق الدخان الذي وصفه الله في قوله تعالى: ﴿انطَلِقُوا إِلَىٰ ظِلٍّ ذِي ثَلَاثِ شُعَبٍ﴾ وقالوا هذه الإحاطة بهم إنما تكون قبل دخولهم النار فيغشاهم هذا الدخان ويحيط بهم كالسرادق حول الفسطاط.

الصفة الثانية: لهذه النار قوله تعالى: ﴿وَإِن يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ﴾ قيل في حديث مرفوع إنه دردي الزيت. وعن ابن مسعود رضي الله عنه أنه دخل بيت المال وأخرج نفاثة كانت فيه وأوقد عليها النار حتى تلألأت ثم قال هذا هو المهل. قال أبو عبيدة والأخفش: كل شيء أذبته من ذهب أو نحاس أو فضة فهو المهل، وقيل إنه الصديد والقيح، وقيل إنه ضرب من القطران. ثم يحتمل أن تكون هذه الاستغاثة لأنهم إذا طلبوا ماءً للشرب فيعطون هذا المهل، قال تعالى: ﴿تَصْلَىٰ نَارًا حَامِيَةً ﴿٤﴾ تُسْقَىٰ مِنْ عَيْنٍ آنِيَةٍ﴾ (الغاشية: ٤، ٥)، ويحتمل أن يستغيثوا من حر جهنم فيطلبوا ماءً يصبونه على أنفسهم للتبريد فيعطون هذا الماء كما قال تعالى حكاية عنهم ﴿أَنْ أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ﴾ وقال في آية أخرى: ﴿سَرَابِيلُهُم مِّن قَطِرَانٍ وَتَغْشَىٰ وُجُوهَهُمُ النَّارُ﴾ فإذا استغاثوا من حر جهنم صب عليهم القطران الذي يعم كلَّ أبدانهم كالقميص. وقوله تعالى: ﴿يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ﴾ وأراد على سبيل الاستهزاء كقوله: ﴿زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا﴾ ثم قال تعالى: ﴿بِئْسَ الشَّرَابُ﴾ أي أن الماء الذي هو كالمهل بئس الشراب لأن

المقصود بشرب الشراب تسكين الحرارة وهذا يبلغ في احتراق الأجسام مبلغاً عظيماً.

ثم قال تعالى: ﴿ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا ﴾ قال قائلون ساءت النار منزلاً ومجتمعاً للرفقة لأن أهل النار يجتمعون رفقاء كأهل الجنة، قال تعالى في صفة أهل الجنة: ﴿ وَحَسُنَ أُولَٰئِكَ رَفِيقًا ﴾ أما رفقاء النار فهم الكفار والشياطين والمعنى بئس الرفقاء هؤلاء وبئس موضع الترافق النار. كما أن نعم الرفقاء أهل الجنة ونعم موضع الرفقة الجنة.

قال آخرون ﴿ مُرْتَفَقًا ﴾ أي متكأ، وسمى المرفق مرفقاً لأنه يتكأ عليه، فالاتكاء إنما يكون للاستراحة، والمرتفق موضع الاستراحة ـ والله أعلم.

وقال سيد قطب، في قوله تعالى: ﴿ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِن يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ ۚ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا (٢٩) إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا (٣٠) أُولَٰئِكَ لَهُمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِّن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ ۚ نِعْمَ الثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا ﴾، ﴿ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا ﴾ أعددناها وأحضرناها .. فهي لا تحتاج إلى جهد لإيقادها، ولا تستغرق زمناً لإعدادها! والتعبير هنا بلفظ ﴿ أَعْتَدْنَا ﴾ يلقي ظل السرعة والتهيؤ والاستعداد، والأخذ المباشر إلى النار المعدة المهيأة للاستقبال! وهي نار ذات سرادق يحيط بالظالمين، فلا سبيل إلى الهرب، ولا أمل في النجاة والإفلات. ولا مطمع في منفذ تهب منه نسمة، أو يكون فيه استرواح!

فإن استغاثوا من الحريق والظمأ أغيثوا .. أغيثوا بماء كدردي الزيت المغلي في قول، وكالصديد الساخن في قول! يشوي الوجوه بالقرب منها فكيف بالحلوق والبطون التي تتجرعه ﴿ بِئْسَ الشَّرَابُ ﴾ الذي يغاث به الملهوفون من الحريق! ويا

لسوء النار وسرادقها مكاناً للارتفاق والاتكاء. وفي ذكر الارتفاق في سرادق النار تهكم مرير. فما هم هنالك للارتفاق، إنما هم للاشتواء! ولكنها مقابلة مع ارتفاق الذين آمنوا وعملوا الصالحات هنالك في الجنان ... وشتان شتان. وبينما هؤلاء كذلك إذا الذين آمنوا وعملوا الصالحات في جنات عدن. للإقامة. تجري من تحتهم الأنهار بالري وبهجة النظر واعتدال النسيم. وهم هنالك للارتفاق حقاً ﴿مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ﴾ وهم رافلون في ألوان من الحرير. من سندس ناعم خفيف ومن إستبرق مخمل كثيف. تزيد عليها أساور من ذهب للزينة والمتاع ﴿نِعْمَ ٱلثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا﴾. ومن شاء فليختر. ومن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر. ومن شاء فليجالس فقراء المؤمنين، وجبابهم تفوح منها رائحة العرق أو فلينفر. فمن لم ترضه رائحة العرق من تلك الجباه، التي تضد القلوب الزكية بذكر الله، فليرتفق في سرادق النار، وليهنأ بدردي الزيت أو القيح يغاث به من النار.

وقال في الدر المنثور، وأخرج أحمد وعبد بن حميد والترمذي وأبو يعلى وابن جرير وابن أبي حاتم وابن حبان والحاكم وصححه وابن مردويه والبيهقي في الشعب عن أبي سعيد الخدري عن النبي ﷺ في قوله ﴿بِمَآءٍ كَٱلْمُهْلِ﴾ قال: «كعكر الزيت فإذا قُرِّب إليه سقطت فروة وجهه فيه». وأخرج ابن المنذر وابن أبي حاتم عن ابن عباس في قوله ﴿كَٱلْمُهْلِ﴾ يقول: «أسود كعكر الزيت». وأخرج ابن أبي شيبة وهناد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم عن عطية قال سئل ابن عباس عن المهل: قال «ماء غليظ كدردي الزيت». وأخرج ابن أبي شيبة وابن المنذر وابن أبي حاتم عن مجاهد في قوله ﴿كَٱلْمُهْلِ﴾ قال: «القيح والدم الأسود كعكر الزيت». وأخرج ابن أبي حاتم عن الضحاك في قوله ﴿كَٱلْمُهْلِ﴾ قال: «أسود وهي سوداء وأهلها سود».

- قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجۡرَ مَنۡ أَحۡسَنَ عَمَلًا ٣٠ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ جَنَّٰتُ عَدۡنٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهِمُ ٱلۡأَنۡهَٰرُ يُحَلَّوۡنَ فِيهَا مِنۡ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٖ وَيَلۡبَسُونَ ثِيَابًا خُضۡرٗا مِّن سُندُسٖ وَإِسۡتَبۡرَقٖ مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلۡأَرَآئِكِۚ نِعۡمَ ٱلثَّوَابُ وَحَسُنَتۡ مُرۡتَفَقٗا ﴾ (الكهف: ٣٠، ٣١).

قال الرازي: «لباس أهل الدنيا إما لباس التحلي، وإما لباس التستر؛ أما لباس التحلي فقال تعالى في صفته ﴿ يُحَلَّوۡنَ فِيهَا مِنۡ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٖ ﴾ والمعنى أن يحليهم الله تعالى ذلك أو تحليهم الملائكة، وقال بعضهم على كل واحد منهم ثلاثة أسورة: سوار من ذهب لأجل هذه الآية وسوار من فضة لقوله تعالى: ﴿ وَحُلُّوٓاْ أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٖ ﴾ وسوار لؤلؤ لقوله تعالى: ﴿ وَلُؤۡلُؤٗاۖ وَلِبَاسُهُمۡ فِيهَا حَرِيرٞ ﴾ . أما لباس التستر فقوله تعالى: ﴿ وَيَلۡبَسُونَ ثِيَابًا خُضۡرٗا مِّن سُندُسٖ وَإِسۡتَبۡرَقٖ ﴾ والمراد من سندس الآخرة وإستبرق الآخرة، والأول هو الديباج الرقيق وهو الخز، والثاني هو الديباج الصفيق، وقيل أصله فارسي معرب وهو إستبره أي غليظ» أ. هـ.

فائدة: قد يقال ما السبب في أنه تعالى قال في الحلي ﴿ يُحَلَّوۡنَ ﴾ على فعل ما لم يُسم فاعله وقال في السندس والإستبرق ﴿ وَيَلۡبَسُونَ ﴾ فأضاف اللباس إليهم؟

والجواب: أنّ المرء في العادة يلبس ثيابه بنفسه وربما اختلى عن الناس لئلا يُطّلع على عورته، فلو قال «يُلبسون» لربما ظنّ ظانّ عدم مبالاتهم باطلاع الناس أو الملائكة على عوراتهم، وأمّا الحلي، فمن عادة الملوك أن يلبسهم الخدم إياه مبالغة في الإكرام.

وقال ابن عاشور: اللون الأخضر أعدل الألوان وأنفعها عند البصر وكان من شعار الملوك، والسندس: صنف من الثياب، وهو الديباج الرقيق يلبس مباشراً للجلد ليقيه غلظ الإستبرق، والإستبرق: الديباج الغليظ المنسوج بخيوط الذهب، يلبس فوق الثياب المباشرة للجلد، وقال السيوطي: أرفع الملابس في الدنيا الحرير، الحرير كلما كان ثوبه أثقل كان أرفع، فإذا أريد ذكر هذا فالأحسن أن يذكر بلفظٍ واحدٍ موضوع له صريح، وذلك ليس إلا الإستبرق ولا يوجد في العربية لفظ واحد يدل عليه لفظ إستبرق.

فوائد:

١- **قال ابن عاشور:** قدّم في الكهف ذكر الحلي وأخر اللباس لأنّ اللباس أشد اتصالاً بأصحاب الجنة لا بمظاهر الجنة وعكس ذلك في سورة الإنسان ﴿عَٰلِيَهُمۡ ثِيَابُ سُندُسٍ خُضۡرٞ وَإِسۡتَبۡرَقٞۖ وَحُلُّوٓاْ أَسَاوِرَ﴾ لأنّ الكلام هنالك جرى على صفات أصحاب الجنة، وهنا وقع على صفات الجنات ابتداءً، ومظاهر الحلي أبهج للجنات.

٢- **قال ابن عاشور:** في آية سورة الحج قال تعالى: ﴿يُحَلَّوۡنَ فِيهَا مِنۡ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٖ وَلُؤۡلُؤٗاۖ وَلِبَاسُهُمۡ فِيهَا حَرِيرٞ﴾ (الحج: ٢٣) فجيء باسم اللباس بعد ﴿يُحَلَّوۡنَ﴾ بصيغة الاسم دون ﴿وَيَلۡبَسُونَ﴾ (أي قال «لباسهم» ولم يقل «يلبسون») لتحصل الدلالة على الثبات والاستمرار كما دلت صيغة ﴿يُحَلَّوۡنَ﴾ على أن التحلية متجددة بأصناف وألوان مختلفة، ومن عموم الصيغتين يفهم تحقق مثلها في الجانب الآخر فيكون في الكلام احتباك كأنه قيل: يحلون بها وحليتهم من أساور من ذهب ولباسهم فيها حرير يلبسونه.

- قال تعالى: ﴿فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ شَيْئًا ﴿٦٠﴾ جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدَ الرَّحْمَٰنُ عِبَادَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّهُ كَانَ وَعْدُهُ مَأْتِيًّا ﴿٦١﴾ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا إِلَّا سَلَامًا وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴿٦٢﴾ تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَنْ كَانَ تَقِيًّا﴾ (مريم: ٦٠-٦٣).

قال الرازي، قوله تعالى: ﴿وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾ فيه سؤلان:

السؤال الأول: أن المقصود من هذه الآيات وصف الجنة بأحوال مستعظمة، ووصول الرزق إليهم بكرةً وعشياً ليس من الأمور المستعظمة؟

- والجواب من وجهين:

الأول: قال الحسن أراد الله تعالى أن يرغب كل قوم بما أحبوه في الدنيا ولذلك ذكر أساور من الذهب والفضة ولبس الحرير التي كانت عادة العجم، والأرائك التي هي الحجال المضروبة على الأسرة وكانت من عادة أشراف العرب في اليمن، ولا شيء كان أحب إلى العرب من الغداء والعشاء فوعدهم بذلك.

الثاني: أن المراد دوام الرزق كما تقول أنا عند فلان صباحاً ومساءً وبكرةً وعشياً تريد الدوام ولا تقصر الوقتين المعلومين.

السؤال الثاني: قال تعالى: ﴿لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا﴾ وقال ﷺ: لا صباح عند ربك ولا مساء والبكرة والعشي لا يوجدان إلا عند وجود الصباح والمساء؟

- الجواب: المراد أنهم يأكلون عند مقدار الغداة والعشي إلا أنه ليس في الجنة غدوة وعشي أي لا ليل فيها.

ويحتمل ما قيل إنه تعالى جعل لقدر اليوم علامة يعرفون بها مقادير الغداة والعشي ويحتمل أن يكون المراد لهم رزقهم متى شاءوا كما جرت العادة في الغداة والعشي.

وقال في الدر المنثور: قوله ﴿ وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴾ أي ليس فيها بكرة ولا عشي يؤتون به على النحو الذي يحبون من البكرة والعشي. وأخرج سعيد بن منصور وعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم عن ابن عباس في قوله ﴿ وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴾ قال: يؤتون به في الآخرة على مقدار ما كانوا يؤتون به في الدنيا.

وأخرج ابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم عن الوليد بن مسلم قال: سألت زهير بن محمد عن قوله ﴿ وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴾ قال: ليس في الجنة ليل ولا شمس ولا قمر هم في نور أبداً ولهم مقدار الليل والنهار يعرفون مقدار الليل بإرخاء الحجب وإغلاق الأبواب ويعرفون مقدار النهار برفع الحجب وفتح الأبواب.

وأخرج الحكيم الترمذي في «نوادر الأصول» من طريق أبان عن الحسن وأبي قلابة قالا: قال رجل: يا رسول الله هل في الجنة من ليل؟ قال: «وما هيجك على هذا؟!» قال: سمعت الله يذكر في الكتاب ﴿ وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴾ فقلت الليل من البكرة والعشي فقال رسول الله ﷺ: «ليس هناك ليل وإنما هو ضوء ونور يرد الغدو على الرواح والرواح على الغدو وتأتيهم طرف الهدايا من الله لمواقيت الصلوات التي كانوا يصلون فيها في الدنيا وتسلم عليهم الملائكة».

وأخرج ابن المنذر عن يحيى بن أبي كثير قال: «كانت العرب في زمانها إنما لها أكلة واحدة فمن أصاب أكلتين سُمّي فلاناً الناعم فأنزل الله تعالى يرغب عباده فيما عنده ﴿ وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴾».

وأخرج ابن أبي حاتم عن الحسن قال: «كانوا يعدون النعيم أن يتغدى الرجل ثم يتعشى، فقال الله لأهل الجنة ﴿ وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴾».

وأخرج ابن أبي حاتم عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «ما من غدوة من غدوات الجنة ـ وكل الجنة غدوات ـ إلا أنه يُزف إلى ولي الله تعالى فيها زوجة من الحور العين أدناهن التي خلقت من زعفران».

ـ قال تعالى: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا﴾ (مريم: ٧١).

قال ابن رجب، عن سعيد بن أبي هلال قال: «بلغنا أن الصراط يكون على بعض الناس أدق من الشعر، وعلى بعض الناس مثل الوادي الواسع».

وقال سهل التستري: من دق عليه الصراط في الدنيا عرض له في الآخرة، ومن عرض عليه الصراط في الدنيا ضيق عليه في الآخرة. ومعنى هذا أن من ضيق على نفسه في الدنيا باتباع الأمر واجتناب النهي وهو حقيقة الاستقامة على الصراط المستقيم في الدنيا، كان جزاؤه أن يتسع له الصراط في الآخرة، ومن وسع على نفسه في الدنيا باتباع الشهوات المحرمة والشبهات المضلة حتى خرج عن الصراط المستقيم ضاق عليه الصراط في الآخرة.. بحسب ذلك ـ والله أعلم.

رأى بعض السلف رجلاً يضحك، فقال له: ما أضحك؟ ليس تقر عينك أبداً حتى تخلف جهنم وراءك. «قلتُ: المراد مَنْ يكثر مِنَ الضحك ومن غير حاجة».

وقال حفص بن حميد عن شمر بن عطية كان عمر بن الخطاب ﷺ إذا قرأ هذه الآية يبكي، ويقول: رب أنا ممن تنجي أم ممن تذر فيها جثياً؟

وروينا من طريق سفيان من حسين عن الحسن، قال: كان أصحاب رسول الله ﷺ إذا التقوا يقول الرجل منهم لصاحبه هل أتاك أنك وارد النار، فيقول: نعم، فيقول: هل أتاك أنك خارج منها، فيقول: لا، فيقول: ففيم الضحك إذاً.

قال أحمد: وحدثنا خلف بن الوليد، حدثنا المبارك، قال: سمعت الحسن يقول: لا والله إن أصبح فيها مؤمن إلا حزيناً، وكيف لا يحزن المؤمن، وقد جاءه عن الله أنه وارد جهنم ولم يأتيه أنه صادر عنها.

وروى أحمد عن عبد الله بن دينار أن نعمان، قال لابنه: يا بني كيف يأمن النار من هو واردها؟ أ. هـ.

- قال تعالى: ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَٰنِ وَفْدًا ۝ وَنَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وِرْدًا﴾ (مريم: ٨٥، ٨٦).

قال الزمخشري، نصب ﴿يَوْمَ﴾ بمضمر، أي يوم ﴿نَحْشُرُ﴾ ونسوق: نفعل بالفريقين ما لا يحيط به الوصف. أو اذكر يوم نحشر، ويجوز أن ينتصب بلا يملكون. وذكر المتقون بلفظ التبجيل، وهو أنهم يجمعون إلى ربهم الذي غمرهم برحمته وخصهم برضوانه وكرامته، كما يفد الوفاد على الملوك منتظرين الكرامة عندهم. وعن علي رضي الله عنه: «ما يحشرون والله على أرجلهم، ولكنهم على نوق رحالها ذهب، وعلى نجائب سروجها ياقوت».

وقال ﴿وَنَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وِرْدًا﴾ فذكر الكافرون بأنهم يساقون إلى النار بإهانة واستخفاف كأنهم نعم عطاش تساق إلى الماء. والورود: العطاش لأن من يرد الماء لا يرده إلا لعطش وحقيقة الورد: المسير إلى الماء.

- قال تعالى: ﴿لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ﴾ (الأنبياء: ١٠٠).

قال في الدر المنثور، وأخرج عبد بن حميد وابن جرير وابن أبي الدنيا في صفة النار والطبراني والبيهقي في البعث عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: «إذا

بقي في النار من يخلد فيها جعلوا في توابيت من حديد نار فيها مسامير من حديد نار ثم جعلت تلك التوابيت في توابيت من حديد ثم قذفوا في أسفل الجحيم فما يرى أحدهم أنه يعذب في النار غيره» ثم قرأ ابن مسعود رضي الله عنه: ﴿لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ﴾.

- قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا الْحُسْنَىٰ أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ۝١٠١ لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا ۖ وَهُمْ فِي مَا اشْتَهَتْ أَنفُسُهُمْ خَالِدُونَ ۝١٠٢ لَا يَحْزُنُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ﴾ (الأنبياء: ١٠١-١٠٣).

قال في الدر المنثور، وأخرج ابن أبي الدنيا في صفة النار عن ابن عباس في قوله: ﴿لَا يَحْزُنُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ﴾ قال: إذا أطبقت جهنم على أهلها، وأخرج ابن جرير وابن أبي حاتم عن ابن عباس في قوله: ﴿لَا يَحْزُنُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ﴾ قال يعني: النفخة الآخرة. وأخرج عبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم عن سعيد بن جبير في قوله: ﴿لَا يَحْزُنُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ﴾ قال: النار إذا أطبقت على أهلها. وأخرج ابن أبي شيبة وابن جرير عن الحسن في قوله: ﴿لَا يَحْزُنُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ﴾ قال: إذا أطبقت النار عليهم يعني على الكفار. وأخرج ابن جرير وابن أبي حاتم عن الحسن في قوله: ﴿لَا يَحْزُنُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ﴾ قال: انصراف العبد حين يؤمر به إلى النار. وأخرج ابن جرير في قوله: ﴿لَا يَحْزُنُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ﴾ قال: حين تطبق جهنم وقال حين ذبح الموت.

قلت: عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يؤتى بالموت يوم القيامة كأنه كبش أملح فيوقف بين الجنة والنار، ثم ينادي مناو: يا أهل الجنة! فيقولون: